جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
إيتاى البارود

الإسلام فى شعر خليل مطران

إعداد
د/ سالم عواد السيد حشيش
مدرس بقسم الأدب والنقد
بالكلية

" بسم الله الرحمن الرحيم "

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلي آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد ،،

ففى هذه الأيام الصعبة يطغى تيار التعصب والكراهية للإسلام والمسلمين متمثلا فى موقف الغرب الأوربى والأمريكى الذى يرى ظلما - فى الاسلام والمسلمين - عدوا بديلا عن الشيوعية الذاهبة...

لقد اكفهر الجو العالمى فجأة، واحتشدت مظاهر العداء للإسلام والمسلمين متخذة من بعض السلبيات لدى بعض المسلمين ذريعة فى تهجمها على الإسلام وأهله ، واستعداء الكون ضده ورميه بالتخلف والجمود ... وأهله بالانحطاط والبربرية...

وحين طالعت شعرا لشاعر خليل مطران ورأيت دفاعه عن الإسلام ومبادئه وقيمه السامية فى وقت كثر فيه أعداؤه فى الخارج والداخل ... أقدمت على الإلمام بهذا الشعر ، وبذل الجهد من أجل إظهاره لمن يطالعه بوصفه صورة مضيئة لوجه الإسلام.

متخذا من ذلك مدخلا لدراسة شعر الشاعر فى هذا الجانب الموضوعي من الناحية الفنية ، باعتبار هذه الدراسة دراسة أدبية متخصصة...

والله من وراء القصد ، وهو الهادى إلى سواء السبيل،،،

الإسلام فى شعر خليل مطران ...

حين يدافع المسلم عن دينه ضد من يجترؤن عليه، فهذا مايجب عليه .. أما حين يدافع عن الإسلام من لا يعتنقه فهذا ماينبغى الالتفات إليه ، وحق علينا أن نشجع مثل هذه الأصوات المنصفة ونقدرها حق قدرها ليكون ذلك دليلا علي أن الإسلام دين قويم يعرف قدره من يعتنقه كما يقدره المنصفون من غير أهل الملة من المنصفين له والمعترفين بفضله...

وحقا إن من الأصوات المنصفة للحق والمعترفة بالدين الإسلامى ومبادئه وقيمه فى الحياة ، واثقة من أن تلك القيم والمبادئ هى دستور الحياة الفاضلة..

هذا الصوت المتصف بالإنصاف للإسلام ومبادئه وقيمه هو صوت الشاعر خليل مطران[1].

---

(١) الشاعر خليل مطران . لبنانى مسيحى - ولد فى بعلبك فى يوليه ١٨٧٢م لأب ثرى فى قومه وأمه من أسرة الصباغ من فلسطين . دخل الكلية البيطربركية للروم الكاثوليك ١٨٨٥ وتخرج منها وعين بها، ونشأ على حب الشعر بتأثير اليازجى قدوته المثلى.
كان له دور وطنى كان السبب فى تركه وطنه إلى الاسكندرية ومنها سافر إلى مرسيليا ثم باريس ، ثم غادرها إلى الاسكندرية ١٨٩٢م.
وفى عام ١٨٩٣م سافر إلى الأستانة وعمل بالتجارة والصحافة وأصدر المجلة المصرية ١٩٠٠م ، ثم جريدة الجوائب واعتزل الصحافة وتوفى يونية ١٩٤٩م.

ومطران كما نعلم شاعر لبنانى مسيحى ، عاش حياته متمسكا بدينه المسيحى ، إلا أنه لم يغلق عينه وفكره عما في الدين الإسلامى من مبادئ وقيم سامية تعلى من قيمة الإنسان وترفع من قدره وتسمو بالحياة وترتقى بها .. فلم يكن منه إلا أن تناول تلك القيم والمبادئ الإسلامية فى شعره ، وبين أهميتها وقيمتها للحياة وأثرها فى الحضارة الإنسانية...

وفى شعره كثير من المبادئ والقيم التى أبرزها وجسدها وتغنى بها رغم مخالفة بعضها لمعتنقه كرجل مسيحى معتز بدينه ...

ولاشى هناك يوجب عليه الثناء على دين لايعتنقه .. ولكنه الحق الذى ارتآه والإنصاف الذى يجده من يقلب النظر فى شعره ظاهر الكل ذى عينين، فى شعره الذى نظمه يجسد فيه مبادئ الدين الإسلامى ..

إن هذا الشاعر قد تناول فى شعره كثيرا مما هو من أسس الدين الإسلامى وثوابته ، وكان له ثناء وتمجيد لكل عمل عظيم . كان له شأنه فى إعلاء الدين الإسلامى ، كما تناول فى شعره صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم ، وأشاد به ، وأبرز دوره العظيم ومعاناته من أجل تبليغ رسالته ، كما أثني على صحابته وأبرز دورهم وقارنهم بسواهم ممن سبقوهم من الأمم ، وكان لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم المنزلة الأسمى فى عقله ووجدانه وجسد ذلك فى خلال شعره الذى أقام بنيانه ...

كما كان له إشادة وثناء في بعض المناسبات الإسلامية وعلي بعض الرموز الإسلامية التى كان لها دورها فى مسيرة الإسلام الصاعدة والأشخاص الذين كانت لهم أعمال بارزة فى خدمة الدعوة الإسلامية .

وها نحن أولاء بصدد مطالعة شعره فى كل غرض نظم فيه شعرا فى الإسلام ....

لقد كان المصريون فى بداية هذا القرن يحتفلون بمناسبة الهجرة النبوية فى بداية شهر المحرم من كل عام، تذكيرا لهم بما كان لهذا الحدث العظيم من آثار حسنة غيرت مجرى تاريخ البشرية ، وكان ذلك الاحتفال اتكاء علي التاريخ ليكون عونا للمصريين علي حفز نفوسهم وشد أزرهم فى بداية نهضتهم ومجابهة عدوهم الذى يجثم على صدورهم .

لقد كانت المحافل تجتمع وينشد الشعراء شعرهم ويتبارون فى إظهار أمجاد العرب والمسلمين ، وتتوقد العزائم ، ويعلوا التهليل والتكبير حين يشحذ النفوس إيراد صور الماضى الغابر وأمجاده العظيمة لتكون زادا يغذى نفوس الشعب ويدفعه إلى الحماس والحمية في مواجهة أعدائه الذين يحاولون طمس معالم حضارته ، والإلتفات إلى غيرها بالتبجيل والاحترام رغم مغايرتها لقيمنا وعاداتنا وتقاليدنا وما فيها من هدم لإسلامنا وعقيدتنا ...

لقد اطلعت على شعر كثير من الشعراء المسلمين كانوا فيه معبرين عما يعتمل فى نفوسهم ويملأ حوانحهم . وأظهروا من خلال تعبيرهم مبادئ الدين الإسلامى وكان شعرهم دفاعا عن الإسلام ومبادئه وقيمه ..

وإذا كان الشعراء المسلمون ينظمون شعرهم دفاعا عن الاسلام فذلك ماينتظر منهم وهو حق وواجب عليهم ...!!

أما حين ينظم شاعر مسيحي شعرا يمتدح فيه الإسلام ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وكتابة المنزل من عند الله تعالى ، كما يمتدح أهله من الرواد الأوائل ويثنى على فعالهم ويجسدها فى شعره ، فذلك هو مالفت نظرى لأتتبع مانظم هذا الشاعر المسيحى مدحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام ، كما يظهر من خلال شعره منزلة الدين الإسلامى وقيمه ومبادئه وأثره علي الحضارة الإنسانية ...

وإذا كانت الأحداث غير متساوية فى أهميتها وأثرها على الحياة الدنيا فإن حدث الهجرة النبوية يعد من الأحداث الجسام والوقائع العظام التي كان لها أثرها الهام في تغيير وجه الحياة إلى الأفضل ، لذا كان حريا بالاحتفاء به والاحتفال بقدومه ، لما كان له من أثر عظيم فى انتشار الإسلام وظهور نوره يملأ الأرجاء ....

وهذا هو شاعرنا خليل مطران يحتفل مع المحتفلين بعيد الهجرة النبوى ويشنف آذان المستمعين ، ويغذى عقول القارئين والسامعين

بشعره العذب الذى يجسد المعانى النبيلة التى اشتمل عليها الدين الإسلامى وها هو ذا يقول : (١).

هل الهلال فحيوا طالع العيـــد حيوا البشير بتحقيق المواعيد
يا أيها الرمز تستجلى العقول به لحكمة الله معنى غير محدود
كأن حسنك هذا وهو رائعنـــا حسن ليكر من الأقمار مولود
لله فى الخلق آيات وأعجبهـــا تجديد روعتها فى كل تجديد

الشاعر - كما يظهر من الأبيات - منبهر بهلال الهجرة مستبشر به تراه فى شعره يوجه الأنظار إليه ويتفاءل به ويحض الناس إلى الالتفات إلى هلال الهجرة ، فقد كانت بداية الإشراق لفجر الإنسانية كما أنها رمز كبير لمعنى عظيم يمثل انتقال الحياة من ظلمات الجاهلية إلي نور الإسلام ، كما كانت فتحا ونصرا للإسلام والمسلمين .

وإذا كانت الأمة الإسلامية تعانى فى تلك الآونة من العنت والمشقة ليعدها عن دين الله تعالى فإنها كانت فى حاجة إلي من يذكرها بالتاريخ لتتخذ منه العظة والعبرة وتستمد منه الدرس والخبرة.

وإذا كانت الهجرة النبوية قد أتت أكلها وأدت دورها في الماضى فإن ذلك لم يكن إلا بعزائم الرجال الأشداء الذين نصروا الله

---

(١) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤٠.

فنصرهم وكان منهم الدرس والعبرة والرمز والتجلة .. وهو ما يجب على رجال اليوم أن يكونوا كما كان أسلافهم ويجددوا روعة تلك الأحداث بعزائم اليوم حتى يحققوا ماحققه الأسلاف ...

لقد كان الاحتفال بمثل تلك الأحداث يمثل شحذا للنفوس وبعثا للهمم وتغذية للعزائم علها تفيق من سباتها وتسلك خير السبل فى الحياة إلى ماينفعها وتتخذ من التاريخ وأبطاله قدوة حسنة ونبراسا يستضيئون به خلال رحلة الحياة...

لقد كان حال الوطن وما آل إليه فى تلك الآونة هم يؤرقه ويقض مضجعه فهو وإن لم يكن مصرى المولد إلا أنه قد صار مصرى العيش فقد احتضنته مصر وعرفت له قدره وأعلت مكانته وسمت بمنزلته بما كان له من أعمال عظيمة تميز بها ولذلك لم تبخل عليه بالجزاء والعرفان وقابلت عمله الطيب بما يستحق من تقدير وامتنان.

ولهذا لم يتوان الشاعر فى أن يأخذ لشباب مصر وفتيانها ورجال غدها العظة والعبرة من هلال الهجرة ويحثهم علي العمل الدؤوب والجد والاجتهاد ، وأن الراحة الكبرى لاتنال إلا على جسر من التعب ، ويضرب لهم المثل بهلال الهجرة حيث يبدأ رحلته هلالا صغيرا ، ثم تنتهى به الأيام بدرا متألقا يفيض علي الدنيا سناه فالواجب عليهم أن يكونوا مثله وأن يسيروا سيرته ويجعلوا الأيام سلما لتطورهم وصلاح حالهم وآية على تقدمهم وعزتهم.

إن أهم مايزجيه الشاعر فى قصيدته إلى فتيان مصر فى تلك المناسبة لعظيمة ، أنه يربط الحاضر بالماضى ، كما يبين لنا أن التمام و الاكتمال فى أى شأن من شئون الحياة لايكون إلا بالسعى والدأب والجد والاجتهاد ولن يكون لذلك من نتيجة إلا الفوز والفلاح وكل مايتمناه الإنسان فى دنياه ...

إن هذا العيد العظيم قد جاء على ميعاد ليعيد إلى الذاكرة صورة ذلك الحدث العظيم المتمثل فى الهجرة النبوية الشريفة . التى كانت لها أهميتها فيها تفتحت آفاق الدعوة الإسلامية ، واتسع ميدانها ، وانساحت بعد الهجرة المباركة تضرب فى شتى أرجاء الأرض ولم تكن لتستطيع ذلك لو قدر لها البقاء في مكة حيث التضييق عليها ومحاولة خنقها ولكن بالهجرة انفسح المجال أمامها وانطلقت الدعوة الوليدة قوية هادرة ، وبها سر المسلمون الأوائل وانجابت عن صدورهم ماكانوا يلاقونه فى سبيلها من أهل مكة فكان انشراحهم عظيما وتفتح نفوسهم كبيرا ....

واليوم يتذكر الخلف تاريخ السلف ويستفيدون من أمجادهم ، ويستمدون منه العزم والقوة والصلابة ، وما عليهم إلا أن يسيروا على نهج أسلافهم حتى ينجحوا نجاحهم ويوفقوا توفيقهم قال الله تعالى : "ولينصرن الله من ينصره " (١).

---

(١) سورة الحج الآية ٤٠.

هذا ما أراد به الشاعر حفز همم المصريين كى يبذلوا الجهد ويواصلوا السعى والدأب كى يصلوا إلى أرقى الدرجات وأسمى الغايات ، ويكونوا كأسلافهم جدا وعملا رغبة فى الرقى والتقدم ....

ثم ينتقل الشاعر إلي الحديث عن شئون الدعوة الإسلامية ويبين ما لاقاه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام وما تحملوه من تعب ومشقة فيقول:- (١).

رسالة الله لا تنتهى بلا نصب يشقى الأمين وتغريب وتنكيد

فى هذا البيت اعتراف صريح وصحيح -الشاعر- وهو مسيحي كما نعلم - بأن الإسلام رسالة سماوية أتت من قبل الله تعالى ، كلف الله تعالى بها رسوله الأمين محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغها إلى الناس كافة ، ليخرجهم بها من ظلمات الجهالة إلى نور الهداية ...

لقد عبر الشاعر فأحسن التعبير بلا زيف ولامراء مقرا بأن الإسلام رسالة الله تعالى إلى خلقه أنزلت على بشر رسول ليبلغها عن الله تعالى وتلك مشقة كبيرة ومسيرة عسيرة لا تتم ويعظم اكتمالها بلا نصب ولاتعب يلحق صاحب الرسالة كما يصيب تابعيه بشتى ألوان الإيذاء .

---

(١) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤٠.

ولقد قاسى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم ألوانا من الإيذاء وقاتلوا وقتلوا فى سبيل الله ، وانساحوا فى أرجاء الأرض فرارا بدينهم وهاجروا إلى الحبشة هجرتين، ولم يمهلهم كفار مكة فى ديار الغربة والهجرة فى الحبشة يهنئون بعبادة الله الواحد الأحد بعيدا عن الإيذاء المكى ، بل انطلقوا يتعقبونهم لدى النجاشى وأرسلوا الوفود محملين بالهدايا إلي ملك الحبشة وبطارقته ليرد المسلمين إلى مكة، ليذيقوهم شتى ألوان الإيذاء لوأد دعوتهم والقضاء عليهم وتخويف من يحاول أن يسلك مسلكهم ، ولكن خاب سنيهم ، ورجعوا يجرون أذيال الخيبة والعار ، لأن الله تعالى نصر عباده المسلمين حين وفق النجاشى إلي رفض طلبهم يرد المسلمين إلى مكة وطردهم ، فلقد بقى المسلمون في مهجرهم يعيدون الله تعالى فى حرية تامة وإن كانوا يقاسون آلام الغربة والبعد عن الوطن والأهل إلا أن ذلك كله يهون من أجل غاية أسمى وهدف أرقى وهو العقيدة الإسلامية التى اختطلت بدمائهم واشتملتها قلوبهم فليسوا بمفرطين فيها مهما بلغ بهم الأين والمشقة...

وإكمالا للمعنى الماثل فى هذا البيت الذى يصور ما فى الرسالة وتبليغها من أين وعناء يردف الشاعر البيت الثانى ليتم الصورة الكبرى . والتى تمثل إضافة ظلال وألوان من المشقة والعناء والعنت الذى لحق بصاحب الرسالة وتابعيه فيقول :-[1]

---

(١) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤٠.

رسالة الله لوحلت على جيل لاندك منها وأضحى بطن أخدود

وفى كلا البيتين عبر الشاعر عن الإسلام بقوله "رسالة الله" وكرر ذلك فى البيتين ، ففى تعبيره تأكيد واعتراف بأن الإسلام رسالة من عند الله، ولايملك المنصف إلا أن يكبر هذا الشاعر ويثنى عليه ويعلي من قدره ويعلن رأيه هذا دحضا للمتعصبين والكارهين من أعداء الدين قائلا : هاقد شهد شاهد من أهلها .. بقدسية الدين الإسلامى وكونه رسالة من عند الله تعالى .. وما قال شاعرنا غير الحق ولكن مايميزه أن غيره ينكره ولايكاد يطيق سماع خير عنه .. !!

لقد كان شاعرنا فى غنى عن أن يعبر هذا التعبير في شعر يطير مع الأيام يقرؤه ويسمعه القاضى والدانى . وهناك أهل ديانته . ومنهم كثيرون ينكرون ولو ظاهرا أن يكون الإسلام رسالة من عند الله تعالى لأنهم لايعترفون إلا بما لديهم من كتب قد تم تحريفها قديما لتسير وفق هوى محرفيها ممن .. "يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها "...

وكما عبر العزيز الحكيم فى محكم كتابه الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد... حيث صور حال أهل الكتاب وموقفهم من رسالة الله تعالى فقال جلت قدرته : "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم"[٢] ، بل إنهم أكثر

---

(١) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤٠.

(٢) سورة البقرة الاية .

معرفة بالحق المتمثل فى الدين الاسلامى من معرفتهم لأبنائهم ، لأنه كما ورد في المتواتر من الأخبار أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل أحد أحبار اليهود عن معنى الآية السابقة فأكد الحبر للخليفة عمر بن الخطاب صدقها فى كونهم أكثر معرفة بالحق الإسلامى من معرفتهم لأبنا ءهم قائلا له : لأنه ربما زنت نساؤنا...

إلا أن الجاحدين المنكرين لايعترفون بذلك، ولايرون إلا مايدينونه به، ولو أنصفوا لتدبروا وسألوا أنفسهم قائلين : ما الهدف من الرسالات السماوية ؟ ثم استعرضوا ما فى الرسالات كلها من خير للإنسانية وأعادوا النظر فيما تحمله الرسالة الخاتم من خير وفير يجعلها إتماما لما سبق من رسالات سماوية ولكنهم عرفوا وكفروا وجحدوا...

فإن اعترف أحدهم بالحق عد ذلك منه شيئا عظيما يستحق الشكر والعرفان والإظهار والإعلان بدل أن يظل طى الكتمان ...

أما الدين الإسلامى فإنه يفرض على معتنقيه أن يؤمنوا بالله تعالى ورسله وكتبه الذين سبقوا رسالة الإسلام عملا بقوله تعالى : "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله.."[1].

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٥.

فإذا أعدنا النظر مرة أخرى فى البيت لنرى مافيه من معان وأحكام وجدنا أنه يحمل معنى آية كريمة من آيات كتاب الله الكريم .. والبيت كما نظمه الشاعر يصور رسالة الإسلام في ثقل حملها ومشقة تبعاتها تكاد تؤدى إلى تفتت الجبل إن هى ألقيت عليه فتتركه وقد تصدعت أركانه وتفوض بنيانه قال تعالى[1]: " لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله.." وكأن هذا الشاعر - غير المسلم - قد استقي هذا المعنى الذى حملته الآية الكريمة ليبرزه واضحا فى بيته السابق مصورا ثقل الأمانة وما لاقاه الأمين من مشقة فى أداء تبعاتها ولايكتفى بالتأكيد الذى ورد فى البيت السابق مبينا قدسية الرسالة ومشقة تحملها ولكنه فى البيت التالى يزداد تأكيدا لهذا المعنى وإظهارا للصورة فيقول [2] :

ولو تحملها بحر لشب لظى وخف وأنهار فيه كل جلمود

لقد كان الرسول صلي الله عليه وسلم محبا لبلده مكة ، ففيها ولد وترعرع حتى بلغ سن الرجولة ، ورأى مجد أهله وعشريته ، وفيها اكتحلت عيناه الكريمتان بمرأى البيت العتيق ، وفيها أكرمه الله تعالى بالوحى ، واختاره الله من سائر خلقه لتبليغ رسالته إلي الناس كافة، فكيف لايفيض قلبه الكريم حبالها ، ولكنه بعد نزول الوحى

---

(١) سورة الحشر الآية : ٢١.

(٢) ديوان الخليل جـ ٢ ، ص٤٠.

عليه وأمر الله تعالى له بتبليغ الرسالة يلاقى المشقة والعناء والكفر والعناد من الأقارب والأباعد فى مكة وماحولها هو ومن اتبعه ، وحين ضاق الأمر به فى مكة لم يكن أمامه إلا أن يتجه إلى القبائل يعرض نفسه عليهم ويبلغ دعوة الاسلام إليهم فمنهم من آمن به ومنهم من استمر علي كفره وعناده ، ثم كانت الهجرات المتتالية من المسلمين إلى الحبشة ، ثم كان الفتح المبين من الله تعالى للدعوة الإسلامية ببيعة العقبة الأولى والثانية ، وبعد هاتين البيعتين المباركتين عقد العزم علي الهجرة من مكة هو وأصحابه - بالرغم من حبه لها ولاغرو. فهو القائل صلى الله عليه وسلم : ..." والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله ، وأحب بلاد الله إلى ، ولولا أن قومك أخرجونى ماخرجت .. " .

وأمر الإخراج من مكة قد بلغه على لسان ورقة بن نوفل ابن عم السيدة خديجة رضى الله عنهما ، وذلك حين جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها يرتعد خوفا بعد نزول الوحى عليه فى غار حراء ، فلم تملك إلا أن ذهبت به إلى ورقة بن نوفل ابن عمها وكان من الموحدين وله نظر فى كتب الأقدمين، وحكى له محمد صلى الله عليه وسلم ماوقع له فى غار حراء، فلم يكن من ورقة إلا أن طمأنه وبشره بالرسالة التى اختاره الله تعالى لها ثم قال له: ليتنى أكون معك إذ يخرجك قومك؟ فقال صلى الله عليه وسلم:أو مخرجى هم؟[1] فأخبره

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ص ٤٨.

ورقــة أن تلك سنة عــاناها من ســبــقــه من الرسل حين يشــتــد الظلم ويطغى ويكبر التكذيب للرسول لايكون أمامه إلا الهـجرة من موطنه إلى موطن آخر يجد فيه أنصارا وأعوانا ينصرون دين الله تعالى .

والشاعر هنا يصور ماكان يعتـمل فى نفس الرسول (ص) من ألم وأسى بالنســبــة إلى مكة وأمــره بالهــجــرة عنهــا إلى يثــرب فيقول: (١)

ينوى الترحل عن أهل وعن وطن وفى جوانحه أحزان مكبود
يكاد يمكث لولا أن تداركـــــه أمر الإله لأمر منه موعود

ففي نفسه عليه السلام - حزن وحسرة وهم وأسي لمفارقة وطنه ويكاد ينفطر قلبه حزنا على فراق مكة، لأنها موطنه وبها أهله وأول الخير كان فيها وربما وطن نفسه علي مجابهة الأذى وتحمله ، ولكن الله تعالى يوحى إليه بكل مايخص الدعوة الإسلامية، قال الله تعالى : "وماينطق عن الهوي إن هو إلا وحى يوحى" (٢) فكان أمر الله تعالى له بالهجرة هو وأصحابه إلى يثرب وهاهو الشاعر يتناول هذا المعنى فيقول: (٣)

---

(١) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤٠.

(٢) سورة النجم : الآية ٤.

(٣) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤١.

يكاد يمكث لولا أن تداركـــه أمر الإله لأمر منه موعود

وحقا كان الرسول صلي الله عليه وسلم يحب مكة ويود المكث بها إلا أن الله تعالى يريد الخير والنصر للدعوة الإسلامية حين ينتقل صاحبها والذين آمنوا معه إلى يثرب حيث الأمن والأمان والاطمئنان خصوصا بعد أن اشتد إيذاء المشركين فى مكة له ولأصحابه ولم يعد هناك احتمال لشتى ألوان العذاب والايذاء التي يصبها المشركون على المسلمين فلم يكن أمامه صلى الله عليه وسلم بعد توجيه الله تعالى له بذلك إلا أن يدعو أصحابه إلى الهجرة إلى يثرب فيقول الشاعر[1]:

فإن غلا القوم فى إيذائه خطلا وشردوا تابعيه كل تشريد

دعا الموالين إزماعا لهجرتـــه فلم يجبه سوى الرهط الصناديد

وها هم أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم تظهر صورتهم فى شعره فكيف صورهم؟ إنهم - فى نظر الشاعر - رهط صناديد أشداء في الحق بواسل، وبهم ارتفع لواء الإسلام عاليا خفايا، فلقد كانوا قلة فى العدد كثرة فى الحماسة والحمية والدفاع عن الإسلام.

ثم يصور الشاعر مسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فيقول:[2]

---

(١)، (٢) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤٠.

مضى هو البدء والصديق يصحبه
يغامر الحزن فى تيهاء صبخود

وهذا تصوير لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه ، فحين قام بالهجرة صحبه أبو بكر الصديق وكله حزن وأسى لفراق مكة وطنه ومهوى فؤاده ، وانساح فى دورب الصحراء الموحشة ، فى طريق غير مأمونة ولا مطروقة كى يسلم من ترصد كفار مكة له وتتبعهم إياه من أجل الإيقاع والفتك به ، وقد رصدوا الجوائز لمن يأتى به حيا أو ميتا ومقدار الجائزة مائة ناقة وهي كفيلة بإسالة لعاب الطامحين والمغامرين من أهل مكة وخاصة الصعاليك والمحرومين ولكن أنى لهم ذلك وقد قال الله تعالى " كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز" (١) .

ويصور الشاعر وجهة الرسول صلى الله عليه وسلم فى هجرته فيقول (٢) .

موليا وجهه شطر المدينة فى ليل أغر على الأدهار مشهود

وحقا كان ليل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي المدينة أغر علي الزمان يفيض بالبشر والنور والضياء ، فبتلك الهجرة الميمونة ولد فجر الإسلام وانتشر ضياؤه وازداد تألقه وارتفعت رايته

---

(١) سورة المجادلة الآية ٢١.

(٢) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤٠.

عالية خفاقة في شتى الأرجاء واتساح فى شتى المدن والقرى يضرب فى أرجاء الدنيا ، مؤذنا بحياة أفضل لبنى البشر قدخلت من الإثم والظلم وامتلأت بالتقوى والخير للإنسان .

لقد تربص المشركون بالرسول صلى الله عليه وسلم محاولين قتله حين يخرج عليهم ليلة الهجرة وقد حشدوا لذلك حشدا عظيما من كل قبيلة قد أخذوا منها فتى شابا جلدا وأعطوه سيفا صارما وأمروا الفتيان الملتفين حول منزل الرسول صلى الله عليه سلم أن يضربوه ضربة رجل واحد مريدين بذلك تفريق دمه في القبائل فلايكون أمام بنى هاشم إلا قبول الدية ، وبذا يستريح الكل من محمد وما أتى به ، ولكن الله مانعه من الناس .

لقد كلف رسول الله عليه السلام ابن عمه على بن أبى طالب أن يبيت مكانه ليلة الهجرة ويتدثر ببردته فكان المشركون حينما ينظرون من ثقب الباب يرونه راقدا ويزعمون أنه طلبتهم، وظلوا كذلك فى موقفهم حول منزل الرسول حتى أتاهم من أخبرهم برؤيته لمحمد وهو خارج من مكة كلها فأفاقوا من سباتهم الذى ضربه الله على أبصارهم وأسماعهم وأسرعوا بالدخول إلي منزل المصطفى وكشفوا غطاء النائم ليجدوه عليا فكم كانت خيبتهم؟ وهم يرون الصيد الثمين وقد أفلت من قبضتهم.

لقد خرج الرسول (ص) وهو يشق صفوفهم ونثر التراب علي رؤوسهم وهو يقرأ قول الله تعالى " وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون" (١) فأصابهم العمى ، والصمم وسلم بذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام من أذاهم وانطلق إلي حيث أراد الله تعالى له ليكمل دعوته ويتم الله على يديه نعمته علي سائر خلقه فكانت الهجرة المباركة إلى يثرب.

ثم يصور الشاعر خطوات الرسول فى طريق هجرته .. فيقول (٢)

حتى إذا اتخذ الغار الأمين حمى

وقام بين صفاه نوم مجهـــود

حماه وشى بهاب الغار منســـول

من الأولى هددوه شر تهديـــد

وحقا صدق الله تعالى إذ يقول جلت قدرته " ولله جنود السموات والأرض (٣) ومن جنود الله تعالى حمام يبيض على باب الغار وعنكبوت يبني بيته على بابه ليوهم المشركين أن الغار غير مطروق وأن أحدا لم يلجه منذ أزمان بعيدة...

---

(١) سورة يس الآية ٩ .

(٢) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤٠.

(٣) سورة الفتح الآية ٤.

وهكذا ألقى الله تعالى هذا الفكر في قلوبهم وعقولهم حتى إن قائلهم حين أشير عليه بالولوج إلي داخل الغار رفض قائلا : إن عليه العنكبوت من قبل أن يولد محمد .... (صلى الله عليه وسلم).

لقد أفزع قدوم المشركين على تلك الصورة المفزعة قاصدين الغار أبا بكر الصديق رضى الله عنه فارتعد قائلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله لو نظرا أحدهم إلى موضع قدمه لرآنا .. ولثقة الرسول (ص) فى ربه ووعده له بالنصر رد قائلا:" يا أبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما" والقرآن الكريم يصور ذلك فيقول : " إلا تنصروه فقد نصره الله إذا أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم"(١).

ثم يتحدث الشاعر عن روح التضحية والفداء والعزيمة والإيمان لدى أصحاب رسول الله (ص) متمثلا فى شخص أبى بكر الصديق ويظهر ذلك أثناء مسيرة الهجرة ، فلقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يسبق الرسول صلى الله عليه وسلم ويسير أمامه تارة ، وتارة يسير عن يمينه وأخرى عن يساره ثم يسير خلفه وحين يسأله

---

(١) سورة التوبة الآية ٤٠.

الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك يجيبه الصديق بأنه يتخيل العدو مقبلا عليهم فينتقل إلى الجهة التى يظن العدو قادما منها ليكون فداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ....

وحين يصلان إلي الغار يكون الصديق أول الداخلين ليطمئن على خلوه من الأذى ويسهر على راحة رسول الله وحراسته وكله خوف وإشفاق أن يناله أذى ، وحين يستقر المقام برسول الله (ص) فى الغار تقبل أفعى تجاه رسول الله وهو نائم ويتلقفها الصديق محاولا إبعادها عن أن تمس رسول الله بالأذى فتنال الصديق بأذاها وتوجعه فيبكي لما أصابه من أذى الأفعى وامتزج فى ذلك ألمه من الأذي وفرحه لفدائه رسول الله وتلك هى العقيدة التى صورها الشاعر فأحسن وأجاد يقول :[1] .

يا للعقيدة والصديق فى سهر
تؤذيه أفعى ويبكى غير منجود
إن العقيدة إن صحت وزلر لها
مغنى القرى فهى حصن غير مهدود

وتلك سمة العقيدة الحقة لاتزلزلها الأعاصير ولاتلين من قناتها الأحداث إنها حصن حصين وقوة قوية تقى صاحبها الزلل وتعصمه من الخطأ .

---

(١) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤٠.

ثم يتناول بشعره هجرة أصحاب النبى ومافعلوه ليلحقوا بصاحب الدعوة علي أرض يثرب حيث الآفاق الرحبة والحياة الجديدة التى تفتح ذراعيها لهذا النور الباهر الذى آذن الله تعالى له بالسطوع والانتشار فيقول: (١)

أما الصحاب الذين استأخروا فتلوا

سارين فى كل مسرى غير مرصود

لقد سرى المهاجرون من أصحاب رسول الله (ص) في كل الطرق وسلكوا كل السبل إلى الهجرة ليلحقوا برسول الله (ص) فهل كانوا فى ذلك ضعافا مهازيل تزعزهم الأحداث وأحوال الصحراء الموحشة؟ ونقول كلا .. فلقد تحول هؤلاء المهاجرين بالعقيدة فى قلوبهم إلى أسود شرى وتحصنوا بحصن الله الحصين الذى لاينهد جانبه ...

ويواصل الشاعر إبرازه لأبطال المهاجرين وقت خروجهم للهجرة فى صور متتالية عظيمة فبالرغم من خروجهم مستخفين فى الغالب إلا أنهم كانوا أعزاء النفوس فرسانا عظماء لايقاس بهم جند كسرى ولاجند قيصر .. ثم يقارن الشاعر بين أولئك الطغاة البغاة جند كسرى وقيصر وهؤلاء الأماجد من أصحاب رسول الله المهاجرين حاملوا لواء الخير والنور للبشرية ، أما طغاة الروم والفرس فلم يحملوا إلا راية الظلم والظلام والبغى والعدوان إلي كل بقاع ولجوها....

---

(١) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤٠.

وشتان بين قوم الله ناصرهم لأنهم ينصرون دين الله تعالى فى الأرض وينشرون العدل والمساواه وآخرين ينصرون الشيطان والهوى يقول الشاعر (١):

ماجند قيصر أو كسرى إذا افتخروا
كهؤلاء الأعزاء المطاريد
كأنهم فى الدجى والنجم شاهدهم
فرسان رؤيا لشأن غير معهود
كأنهم وضياء الصبح كاشفهم
آمال خير سرت فى مبهجة البيد
فى حيطة الله ما شمت أسنتهم
فوق الظلال على المهرية القود

فما أجمل وما أجل هذه الصفات والمزايا والخصال التي أبرزها شاعرنا لخير الرجال من أصحاب الرسول الكريم ، ومهما بالغ الشارحون فى إبراز مافيها من معان فهى فى نظمها وهيئتها التى رسمها الشاعر أثرى وآثر من شرح الشارحين وتدبيج المدبجين ...

ونهاية هذه الأبيات دعاء الشاعر لهؤلاء الأماجد أن يحفظهم الله تعالى من كل سوء ويجنبهم كل مكروه فهم الرواد الأوائل الذين قامت بسواعدهم أعمدة بنيان الدين الجديد.

---

(١) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤٠.

ثم يصور الشاعر معاناة الرسول (ص) في دعوته وفى هجرته وغزواته وحروبه ووقوفه بقوة فى وجه أعدائه حتى مكن الله تعالى له ولدعوته فى الأرض فيقول: (١)

عانى محمد ماعانى بهجرته لمأرب فى سبيل الله محمود

وهكذا كانت الهجرة إلى يثرب وما كان فيها من مشاق تحملها الرسول (ص) ابتغاء مرضاة الله تعالى فكان منها الخير الكثير والنفع الوفير للبشرية جمعاء وكانت الهجرة إلى يثرب بداية طريق الفتح والجهاد لم يركن المسلمون إلى الدعة والراحة بل شمروا سواعد الجد فى سبيل إظهار الدين الجديد وكثر أعداء الإسلام والمسلمين فى يثرب من مشركين ومنافقين ويهود واستقبل المسلمون حياتهم فى يثرب مشمرين عن سواعد الجد والمثابرة وتحملوا المشاق ابتغاء ورضوان الله تعالى حتى يكون لهم النصر والبقاء والتأييد من الله تعالي يقول الشاعر (٢).

وكم غزاة وكم حرب تجشمها حتى يعود بتمكين وتأييد

وكأن التمكين والتأييد والقوة فى الأرض لا تكون إلا بجهد جهيد وصبر عتيد وهذا هو ما فعله رسول الله (ص) وهو القدوة المثلى لم يركن ولم يتخاذل بل أخذ بالأسباب وتحمل المشاق وتوكل علي الله

---

(١)، (٢) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤١.

تعالى فكان في عمله يقسمه شطرين فشطر يتحمله بقوة واقتدار ويهيئ له الأسباب وشطر يتوكل فيه على الله تعالى.

وبذا كان الرسول (ص) فى الحياة يأخذ بالأسباب ويبذل الجهد من أجل كل هدف يرمى إليه وهو مثلنا الأعلي وكان هذا شأنه فى الحياة فالواجب علي متبعيه أن يكونوا مقتدين به فى كل شأن من شئون حياتهم صغر أم كبر ...

يقول الشاعر حاثا على الجهاد والعمل ملتمسا العبرة من رسول الله[1] :

كذا الحياة جهاد والجهاد على قدر الحياة ومن نادى بهما فودى

فمن أراد الحياة الحرة الكريمة فعليه بالعمل والجهد وتحمل المشاق من أجل جند أفضل حتى يستطيع أن يعيش حياة كريمة طيبها أرغد وخيرها أكثر ونعيمها أوفر ويؤكد الشاعر هذا المعنى فى الأبيات التالية :

أوفى الكفاح كفاح المرء عن سفة
للاحتفاظ يعمر رهن تحديـــد[2]
لينعم العيش طلنا كل مقتحـــم
وليبلغ فى الأرض شقا كل وعديد

---

(١) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤١.

(٢) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤١ .

الحياة عمل وكفاح والآجال محددة عند الله تعالى لايملك الإنسان إطالتها أو تقصيرها - إلا إذا ألقى بنفسه إلى التهلكة . وفيما عدا ذلك فالأعمار بيد الله تعالى وعلى المرء أن يستثمر أيام عمره فيما يعود عليه بالنفع العميم وهو إن فعل ذلك ضمن السعة والرغد فى الدنيا ، فإن قيده الخوف والجبن عن اقتحام الخطوب ضاقت عليه مسالك الدنيا "وأن ليس للإنسان إلا ماسعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى " (١).

وكأن الشاعر أراد أن الإنسان يبلغ فى حياته على قدر جهده من العيش فى سعة وغنم إن هو بذل الجهد وتحمل المشاق فإن تقاعس وارتجفت أوصاله ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وانزوى في ركن بعيد ضيق لايؤبه له ولايلتفت إليه ، وإذا كانت قيمة الإنسان فيما يقدم من أعمال وفيما يترك من أثر حسن يبقى بعده عمرا ثانيا يخلد علي الأيام ذكره وينشر عطره.

نجد الشاعر يقول(٢)

ومن عدا الأجل المحتوم مطلبه عدا الفناء بذكر غير ملحود

---

(١) سورة النجم الآيات ٣٩-٤١.

(٢) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤١.

فإن من عمل بجد و نشاط ولم يعمل للمخاطر حسابا ، ولم يجعلها تقيد حركته فى الحياة فإنه يعيش مرفوع الرأس ، ويبقى عمله ذكرا طيبا على مدى الأيام كما قال الآخر (١).

فاعمل لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثان

والشاعر يتوجه بالحديث إلى شعب مصر ويذكرهم . بكونهم مسلمين فى الغالب بأنهم يعلمون سيرة نبيهم ويقتدون بسنته ، فالواجب عليهم أن يسلكوا مسلكه وأن يسيروا على دربه فى الحياة حتى يحققوا آمالهم ولن يكون ذلك إلا بالجد والكفاح اقتداء بسنة النبى الكريم صلى الله عليه وسلم.

والشاعر لاينسى مسيحيته فينبه المصريين إلى أنهم يجب أن يكونوا ملتفتين إلى سيرة نبيهم ومتمسكين بمسلكه فى الحياة لأنهم أعلم بذلك من سواهم ممن هم ليسوا علي دينهم كهذا الشاعر حين يقول: (٢).

لقد علمتم وما مثلى ينبئكم لكن صوتى فيكم صوت ترديد

فهو لايرى نفسه عالما بشئون الدين الإسلامى بل هو مردد فقط لبعض مايعرفه وهو قلة بالقياس إلى مايعرفه معظم المسلمين من أمور

---

(١) الشوقيات أحمد شوقى جـ٢ ، ص٣٥.

(٢) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤١.

دينهم فحق عليهم أن يكونوا أشد تمسكا بدينهم وملتفتين بذواتهم إلي خصائص دينهم ليسوا بحاجة إلى من يلفتهم إلى ذلك وبخاصة من كان على غير دينهم...

ثم يتحدث عما أثمرته الهجرة لأمة الإسلام وهى السيادة والقوة علي الدنيا طالما تمسك الناس بالدين فيقول(١):

ما أثمرت هجرة الهادى لأمته من صالحات أعدتها لتخليد
وسمودتها على الدنيا بأجمعها طوال ماخلقت فيها بتسويد

" فمن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها" "وإن الله لايضيع أجر من أحسن عملا" .. قاعدة وقانون باق على مدى الأيام أن الإنسان مجزى بعمله وقيمته فيما يسديه ويقدم للحياة الإنسانية من خبر أو شر وهكذا كانت ثمرة الهجرة كل الخير والسؤدد والرفعة للإسلام والمسلمين ...

إن الشاعر يرسم صورا فريدة فى قصيدته وهاهى صورة الشرك فى مكة وكيف كان؟ وما لحق الناس من جرائه من شر وبيل وأذى مستطير، وكيف كانت الحياة تسير في تلك البقاع التى انغمست في الشرك؟ وكيف جابه الرسول (ص) الشرك والمشركين ؟ وكيف تغلب

---

(١) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤١.

على كثير من العقبات والمصاعب، وبذا يعطى الشاعر صورة واضحة عن المجتمع المكى قبل بعثة النبى (ص) والثوابت التى كان يسير عليها المجتمع وقد كانت بلاشك خطلا فى الرأى وفسادا فى التفكير وضلالا وبهتانا ، وكان على الرسول (ص) أن يجابه ذلك وأن يقتلع من المجتمع كل تلك الأدران والأرزاء التى تعوق مسيرة الدعوة الوليدة يقول(١):

بدا وللشرك أشياع قوطده ... فى كل مسرح باد كل توطيد
والجاهليون لايرضون خالقهم ... إلا كعبد لهم فى شكل معبود
مؤلهون عليهم من صفاعتهم ... بعض المعادن أو بعض الجلابيد

هكذا كان حال الناس فى مكة من الناحية الدينية ، فهم فى شرك ووثنية يعبدون أصناما يصنعونها بأيديهم من الحجارة أو من التمر فإذا جاع أحدهم أكلها...

فإذا تطرق إلي تصوير الحياة الاجتماعية والسياسية للعرب قبل الإسلام صور فيهم الكبر والبطر والتمزق والتشتت والكراهية ومحاولة بطش القوى بالضعيف وغلبة السفه والطيش عليهم فمن لهم ليخرجهم من ظلام الجاهلية إلى نور الإنسانية!!

---

(١) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤١.

يقول الشاعر : (١)

مستكبرون أياه الضيم غر حجى ثقال بطيش لدان كالأماليد
لاينزل الرأى منهم فى تفرقهم إلا منازل تشتيت وتبديد
بأي حلم مبيد الجهل عن ثقة وأى عزم مذل القادة الصيد

كان هذا حالهم فى الجاهلية ، فهم مستكبرون فى الأرض ، يرفضون الظلم من غيرهم ويذيقونه لسواهم ، ويفتكون بغيرهم فى صراعهم الدموى ، وحروبهم التى كانت تشب بينهم لأتفه الأسباب وهم متفرقون متناحرون غالبا لايطيقون حكما من سواهم ، ولايرضون إلا بأحكامهم التى تكون غالبا من منطلق الهوى بعيدة كل البعد عن الحق والرشاد.

وإذا كان الأمر كذلك فى تلك البيئة فمن لمثل هؤلاء وهم على مثل تلك الصفات أن يسوسهم ويبدل من سئ أخلاقهم ويذل قيادهم ويصهرهم في بوتقة واحدة ويجمع قوتهم المتفرقة التى يسودها الكفر والضلال ليجعل منها قوة قوية راشدة مؤمنة تصنع الخير متحدة غير متفرقة.

وإذا كان الجاهليون على مثل تلك الصفات التى ذكرها الشاعر فأى حلم وأى عزم يقدر على أن يعيد صياغة تلك النفوس

---

(١) ديوان الخليل جـ١ ، ص٤١.

ويبرئها من الشرك ليحل محله توحيد الواحد الأحد ، وأن يتمكن من محو هذا الطغيان الشيطانى ليحل محله العز الربانى حتى يكونوا كما قال الله تعالى .. "أذلة على المؤمنين أعزه على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولايخافون لوم لائم.."(١).

وهكذا نجد أن هذا الشاعر المسيحى يجسد صفات رسول الله (ص) ويصورها أحسن تصوير ، ويعظمها ويجعل لها الغلبة على ماسبق تصويره من صفات المشركين وخلالهم فيقول(٢):

بأى حلم مبيد الجهل عن ثقة وأى عزم مذل القادة الصيد

وهذه بعض الصفات المثلي التى تحلى بها رسول الله (ص) وتمكن بها من تغيير حال المجتمع إلى الأفضل وانتشال أمة العرب من رغام الجاهلية ورفع رايتها عاليه خفاقة ، فقد قضى علي الشرك والوثنية ووحد المجتمع وصهره فى بوتقة واحدة ونحى عوامل الفرقة والتباغض بما أتي من مبادئ سامية كانت بها إعادة صياغة المسلم ليكون لبنة قوية فى مجتمع قويم فيقول: (٣).

---

(١) سورة المائدة الآية ٥٤.

(٢) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤١.

(٣) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤١.

أعاد ذاك الفتى الأمى أمتـــه شملا جميعا من الفر الأماجيد
لتلك تالية الفرقان فى عجـــب بل آية الحق إذ يبقى بتأكيـد
صهبان راضهما: توحيد معشرهم وأخذهم بعدا إشراك بتوحيـد

أمـران غـاية في الصـعـوبة : التـوحـيـد بعـد الإشـراك والـوحـدة والائتلاف بعد الفرقة والشتات فكيف يتم ذلك ؟ وبيد من يحدث ؟ إنها المعجزة الكبرى التى أتت من عند الله تعالى الذى لايعجزه شئ فى الأرض ولا فى السماء لخير الإنسانية ، فكانت الرسالة ، وكان القرآن الكريم وستور الأمة بلسما لكل آلامها وشفاء لكل جراحها وبذا تحـقـقت المعـجـزة الكبـرى وأصـبح الناس فى دين الله إخـوانا متحابين حين تمسكوا بكتاب الله تعالى وسنة نبيه امتثالا لأمر الله تعالى .

وإذا كـان الرسـول صلى الله عليـه وسلم قـد أعـاد بناء المجتـمع على دعـامتين هامتين هما التوحيد لله تعالى والوحدة بين المؤمنين ، وبذا صار المجتمع قويا متماسكا فقد اتجه بعد ذلك إلي نواح أخرى تتعلق بالمجتمع الجديد....

ولما كـان الإنسان مدنى بطبعـه ولم يخلقـه الله تعالى ليعـيش منفـردا فى عـزلة عن غـيـره ، ولما لم يكن المسلمـون وحـدهم الذين يعـيـشون فى يثـرب بل كـان يجـاورهم سـواهم من غـيـر المسلمين من مسيحيين ويهود ، فقد كان من أعـماله العظيمة بتوجيه الله تعالى أن

قام بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فى المدينة وبعد أن تم التئام شمل المجتمع المسلم فى المدينة قام الرسول (ص) بإبرام المعاهدات مع مساكنيه من غير المسلمين ، فقد تعاهد معهم على أن يكونوا جميعها يدا واحدة فى وجه من يحاول إلحاق الأذى بيثرب .. والعدل والمساواة فيما بينهم وبهذا كان عليهم ألا يناصروا أعداء المسلمين على قيامهم بحرب المسلمين .

ولاشك أن هذا من الأعمال العظيمة التى قام بها الرسول الكريم يقول الشاعر: (١)

وزاد فى الأرض تمهيدا لدعوته بعهده للمسيحيين والهود

لقد كان المسلمون فى مكة يواجهون عدوا واحدا هم المشركون ، ولكنهم بعد الهجرة زاد حسادهم ، وتعددت مصادر العداء لهم ولدعوتهم ودولتهم الوليدة ، فبالإضافة إلى مشركى مكة وعدائهم برز عنصر اليهود والمنافقين كأعداء جدد للدعوة الإسلامية ، فما كان من الرسول الكريم إلا أن عقد معهم العهود والمواثيق لتأمين جبهة المسلمين وتحييدهم فى الصراع الدائر بين المسلمين والمشركين، وقد فعل الرسول الكريم ذلك ليتفرغ لنشر الإسلام فى شتى البقاع ، والتخوم وتأمينا لجانب المسلمين ولكنهم لم يلبثوا أن غدروا بعهودهم مع رسول الله وحاولوا إلحاق الأذى ، ببعض المسلمين والمسلمات بل تعدى الأمر إلى محاولتهم قتل رسول الله (ص) فى كثير من الأحيان ونجاه الله من شرورهم.

---

(١) ديوان الخليل جـ١ ، ص٤١.

وحين قابلوا الإحسان بالإساءة وفعلوا مافعلوا برسول الله والمسلمين لم يكن من رسول الله إلا . أن حاربهم وقضى عليهم وطهر المجتمع المدنى من شرورهم.

ويواصل الشاعر إبراز أعمال الرسول (ص) المجيدة فى سبيل بناء المجتمع الإسلامى الجديد فيقول: (١)

وبدئه الحكم بالشورى يتم به ماشاء الله عن عدل وعن جود

وفى هذا البيت يتحدث الشاعر عن ركيزة مهمة من ركائز الدين ودعامة قوية من دعائم المجتمع المسلم التى يقوم عليها بناؤه، ألا وهى الحكم بالشوري والبعد عن التسلط والاستبداد بالرأى والطغيان والديكتاتورية كما يقال الآن - وبذا يكون الإسلام قد سبق كل دساتير العالم فى أمر الحكم بالشورى والعدل والديمقراطية والسماحة والمساواة بين الرعية ، ولقد بدأ الرسول الكريم حكمه للمجتمع الإسلامى بالشورى والعدل امتثالا لأمر الله تعالى قال تعالى وأمرهم شورى بينهم (٢) "إن الله يأمر بالعدل والإحسان" (٣) ، ثم تكون النتيجة التى خلص إليها الشاعر عن الرسول الكريم والإسلام والمسلمين ، ومسلك الرسول (ص) فى بناء المجتمع الإسلامى الوليد متمثلا فى هذا البيت الذى يقول فيه (٤).

---

(١) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤١.

(٢) سورة الشورى الآية ٣٨.

(٣) سورة النحل الآية ٩ .

(٤) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤١.

هذا هو الحق والإجماع أيـده فمن يفنده أولى بتفنيـد

نعم هذا هو الدين الحق كما صوره الشاعر فمن يحاول إلصاق النقائص به فهو المخطئ دون الإسلام ، وهو عدو يحاول النيل من الإسلام دون سند هذه هى الصورة المثلى التي قدمها الشاعر عن الرسول الكريم (ص) وجهاده وهجرته وما لاقى فى سبيل إتمامها ، كما صور الشاعر صحابة الرسول (ص) وتحملهم المشاق والأذى ، وقارن بينهم وبين جند من سبق من الأمم ، وكان الرجحان والامتياز والتفرق من نصيب صحابة رسول الله (ص) دون جند كسرى وقيصر....

وبذا يكون شاعرنا قد رسم صورة عظيمة أبرز من خلالها جهد الرسول الكريم وبلاء أصحابه الأبرار فى سبيل نشر الدعوة ، وماتحملوا فى سبيل ذلك ، حيث تغلبوا على كل الصعاب ولم يهنوا ولم يحزنوا ولم يركنوا بل أطاعوا الله ورسوله، وأخذوا عن الرسول (ص) الأسوة والقدوة والمثل الأعلى ، حتى نجحوا فى مسيرتهم فى الحياة وكانوا بذلك أسوة لغيرهم .

وبعد أن جسد الشاعر صورة جهادهم نجده يتجه إلى المصريين حاثا لهم على الأخذ بالقدوة والأسوة الحسنة متمثلة فى رسول الله (ص) وصحابته وذلك موضع الدرس وموطن العبرة من هذه الأبيات التى تفيض سناء وعطرا فواجا من شذى سيرة الرسول الكريم وصحابته الأبرار وهنا يلفت الشاعر أنظار المصريين إليهم فيقول[1]:

---

(١) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤١.

أى مسلمى مصر إن المجد دينكم

وبئس ماقبل شعب غير مجدود

طال التقاعس والأعوام عاجلـــة

والعام ليس إذا ولى بمـردود

هبوا إلى عمل يجدى البلاد فما

يفيدها قائل يا أمتى سودى

إن دين الإسلام هو دين العمل والكفاح والرسول وصحبه خير مثال ألم يأمرنا الله تعالى فى كتابه بالعمل قال تعالى .. وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"(١) . وقال تعالى فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله"(٢) .. ولما كان الشعب المصري مسلما حق عليه أن يلتزم بما أمر الله تعالى ويعمل ليعيش حرا كريما ، وإذا كان قد لحق بالكثير التقاعس والإهمال وترك الأعمال فإنه قد آن الأوان ليشمر كل سواعده ويقبل على عمله فإن الأيام تمر ، فإذا لم يكن عمل مفيد فإنه سيكون الضياع فإن البلاد فى حاجة إلى عمل نافع يعود بالخير عليها وعلى مواطنيها وفرق بين العمل والكسل، ففى العمل الخير وفى الكسل البوار ولايصلح حال الأمة من يكون همه القول دون العمل فإن سيادة الأمم

---

(١) سورة التوبة ١٠٥.

(٢) سورة الجمعة الآية ١٠.

لاتكون إلا بالأعمال، أما الأقوال فلا تجدى ولاتسمن ولاتغنى من جوع " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون"(١) ، ولهذا فإن الشاعر يواصل حثه لشعب مصر طالبا منهم أخذ العظة والعبرة والاستفادة بالمثل والقدوة من التاريخ الإسلامى فيقول(٢):

أبناء مصر عليكم واجب جلل لبعث مجد قديم العهد مفقود

ولم يكن ذلك المجد القديم العهد المفقود إلا مجد الإسلام الذى فقدناه يوم تركنا ما أمرنا ربنا بالتمسك به ، وما وجهنا إليه نبينا، ولم نعمل بقول الله تعالي .. "ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" (٣).

فتركنا ما أمرنا الله تعالى بأخذه ، ولم ننته عما نهانا الله عنه فصرنا إلى ما نرى من الضعف والهوان والتمزق وصار بأسنا بيننا شديدا ، ولم ننصر الله فى دينه فلم ينصرنا ونسينا ، وحين ننصر الله تعالى بالتمسك بدينه والعمل بشريعته ينصرنا الله تعالى وتكون لنا العزة والغلبة على أعدائنا المتربصين قال الله تعالى .." ولله العزة ولرسوله والمؤمنين.."(٤).

---

(١) سورة الصف الآية ٢.

(٢) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤١.

(٣) سرة الحشر الآية ٧.

(٤) سورة المنافقين الآية ٩.

وهذا هو مايريده الشاعر إذ يقول(١):

فليرجع الشرق مرفوع المقام بكم

ولتزه مصر بكم مرفوعة الجيد

ولن يرتفع مقام الشرق اليوم إلا بما ارتفع به فى الأمس ...

ويواصل الشاعر حلمه الجميل لمصر فيقول: (٢).

ما أجمل الدهر إذ يأتى وأربعنا حقيقة الفعل والذكرى بتمجيد

إن الحياة تزهو بالعمل الطيب والتقدم الجميل الذي يحفظ للإنسان كرامته إذا أقبلت الأيام وفى جنباتها المدنية والحضارة والتقدم والسيادة كما كانت فى الماضى فإن بلادنا تكون غاية الإبداع والجمال وطيب العيش ولن يتحقق ذلك إلا بالعمل الجاد الذى يرفع من قيمة الوطن والمواطن حين تكون ذكرى الهجرة عاملا على بث روح العزيمة والحماس والحمية فى نفوس المواطنين .

هذا هو الدرس الذى حاول الشاعر توجيه النظر إليه وكان غرض الشاعر من العظة والعبرة فى هذه المناسبة الهامة فى التاريخ الإسلامى هو إيقاظ العزائم وبث الحماس فى نفوس المصريين علهم يثوبوا إلى رشدهم ويهبوا نشطين إلى خير الأعمال لصالح وطنهم

---

(١) ، (٢) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤١.

وتكون الهجرة ودورسها هى محركهم نحو التقدم والنهوض كما كانت فى الماضى بداية للحق الأبلج ونهاية للباطل الأحمق الذى كان يضرب بجرانه فى سماء الدنيا قبل الإسلام.

وبذا يكون الشاعر خليل مطران قد تناول الهجرة وتحدث عن الإسلام ورسوله الكريم وصحابته الأبرار وأبرز فضائلهم الجليلة وأعمالهم العظيمة ليكون ذلك نبراسا يهتدى به السالكون من أبناء مصر في محاولتهم إنهاض الوطن وإسعاده..

ولايقف الأمر بالشاعر فى تناوله لمعانى الإسلام عند هذا الحد ففى ديوانه الزاخز أشعار متفرقة من يقرؤها ويمعن النظر فيها يجدها تتناول مظاهر إسلامية جسدها الشاعر فى شعره ففدت معانيها واضحة للعيان.

وهكذا نجد هذا الشاعر المسيحى منصفا للإسلام أى إنصاف وحق لنا أن نقدره حق قدره ، وأن نظهر منه هذا الجانب المضئ فيه والذى اتسم بالشجاعة والإنصاف لمبادئ الإسلام وأهله من الرواد الأوائل...

وتأكيدا من الشاعر على أهمية الهجرة للرسالات كلها ومنها الرسالة المحمدية وللهجرة المحمدية التى كانت فتحا للإسلام والمسلمين نجده يقول(١):

---

(١) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٢٣٧.

موسى وعيسى بعده ومحمد فروا من الظلام أى فرار !!

وبذا يظهر من خلال تعبير الشاعر تأكيده على بشرية الرسل الثلاثة الذين ورد ذكرهم فى البيت ، كما يؤكد مالاقوة من ظلم وعسف وأذى بسبب اختيار الله تعالى لهم ليكونوا رسلا إلي الناس الأمر الذى أدى بهم إلى أن يهاجروا فرارا من الظلم إلى ربوع آمنة يستطيعون فيها عبادة الله تعالى وقد تحقق من ذلك لمحمد (ص) ما كان يريده من الهجرة من الأمن والعزة يقول الشاعر.. (١)

بالهجرة اتسقت لهم أسباب ما أو توه من نقض ومن إمرار
فى كل ماجل إجتماعا شأنه شفعت قوى لدعاته الأظهار
ومن إبتداء الدهر أعلنت غربة كلم الثقات على قوى الفجار

فبالهجرة اتسعت آفاق الدعوة الإسلامية وكانت بداية طريق النصر والقوة وإعلاء كلمة الله تعالى .. وفى قصيدة أخرى يشيد بذكرى الهجرة وآثارها للدين الإسلامى فيقول(٢):

سلام على ذاك الهلال من امرئ صريح الهوى والحر لا يتكتم
سلام وتكريم بحق كلاهما وأشرف من أحببته من تكرم

ويذكر مطران السبب فى هذا الحب الذى يكنه فى قلبه للإسلام فيقول مخاطبا الهلال: (٣).

---

(١) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٢٣٧.

(٢) ديوان الخليل جـ٢ ، ص١٢٧.

(٣) ديوان الخليل جـ٢ ، ص١٢٧.

هويتك إكيار الما أتت رمـــزه من المأرب العلوى لو كان يفهم
وعلما بأن الشرق ينمو ويرتقى بأن يتصافى عيسوى ومسلـــم

وكل ماتحمله للأبيات من معان سامية توافق ماجاء فى القرآن والسنة المطهـرة من العلم والعـمل والسـمـاحـة والطهـارة وحسن الخلق وكلها خير للإنسان يقول الشاعر:(١)

أرى كل دين جاء بالخير طاهرا ولاشئ غير الشر عندى منهم

في رثائه للزعيم مصطفى كامل يبدأ قصيدته بقوله(١)

أعلى مكانتك الإلـه وشرفـــا فانتم بطيب جواره يا مصطفى
اليوم فزت بأجر ما أسلفتـــه خيرا وكل واجد ما أسلفـــا
وجزيت من فانى الوجود بخالد ومن الأسى الماضى بمقتبل الصفا

الشـاعر يذكـر أن للكون إلهـا ينتقل الإنسان بالموت إلى جواره وهو سبحانه يجزى كل إنسان بما قدمت يداه من خير أو شر.

وفى شـعـره فى رثاه الزعـيم مـصطفى كـامل يتطرق إلي الدين الإسلامى وموقف الشـهيد منه، ويبين الشاعر كيف أن الإسلام متـهم فى نظر أعدائه وكان الزعيم يدافع عنه فى حياته فمن يدافع عنه بعد

---

(١)، (٢) ديوان الخليل جـ٢ ، ص١٢٧.

رحيل الزعيم يقول الشاعر: (١)

من يبرئ الإسلام من تهم العدا ويرد فقد الناقدين مزيفـــا
ويثير من غضب الغضاب لمجده همما تعيد له المقام الأشرفا

وكأن الشاعر يتجسر لفقد الزعيم الذى كان يرد عن الإسلام فقد الناقدين وسهام الكائدين ويعيد مجده الذى كان ...

ثم يقول : (٢)

ولعل حرا لايدين به أنبـــرى ليذود عنه خصمه المتعسفا

وأرجح الآراء لدى أن الشاعر يقصد نفسه بهذا البيت وقد تبين ذلك من خلال مطالعتنا لشعره فى مناسبة الهجرة النبوية وهو يدلل على ذلك الموقف المنصف بقوله (٣):

لم تنزل الأديان إلا هاديـــــا للعالمين ورادعا ومثقفـــا
بشعار حى على الفلاح وما بها إن قصر الأقدام عنه فأخلفا

فـهـذا مـوقف الشـاعـر من الأديان وهو مـوقف إسـلامى وكـأن الشاعر قد نظر إلى قوله تعالى " قولوا آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ومـا أتـى

---

(١) ، (٢) ديوان الخليل جـ٢ ، ص ١٢٧.

(٣) ديوان الخليل جـ١ ، ص٣٠٨.

موسى وعيسى وما أوفى النبيون من ربهم لاتفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون" (١).

ثم يشيد الشاعر بما كان للإسلام من مجد وعزة وقت أن كان المسلمون يطبقونه عمليا فى حياتهم فكانت لهم الحضارة الزاهرة يقول الشاعر (٢):

ملأ البلاد إنارة وحضارة .....

وبذا يرد الشاعر على من يتهمون الإسلام ظلما بأنه دين البربرية والتعصب والهمجية - ولقد كان للإسلام هذا الشأن الذى صوره الشاعر حين كان الناس متمسكين بدينهم وحين تركوا ماأمرهم الله بالتمسك به ضلوا وتاهوا ولاهداية لهم إلا بالعودة إلى ماكان عليه الأسلاف وذلك هو مايصفه الشاعر لأدواء الأمة فيقول (٣).

ومنى السماحة عوده مستأنفا ... !!

فلا صلاح لآخر الزمان إلا بما صلح به أوله وهو الإسلام ، وكذبت كل النظريات الحديثة بجانب الإسلام . "لأنه تنزيل من حكيم حميد" وسواه من وضع البشر ويؤيد ذلك الشاعر فيقول (٤):

---

(١) ، (٢) سورة البقرة الآية ١٣٦.

(٣) ، (٤) ديوان الخليل جـ١ ، ص ٣٠٨.

فالخير كل الخير فيه مقبلا والشر كل الشر أن يتخلفا

وهذا هو الدين الحق والعدل الذى لامراء فيه ....

إن رسول الله خاتم النبين والمرسلين ورسوله إلى الناس أجمعين جدير بأن تؤلف في سيرته الكتب وتدبج القصائد والمقالات ثناء عليه وإشادة بذكرة لما قدمه للإنسانية من نور وخير ...

* حين يثني مسلم على نبيه فى كتاب لايكون ذلك منه بدعا أو شيئا لافتا للنظر فهذا واجبه وفرض عليه أن يصلى على رسول الله (ص) في كل حين ويكون ذلك خيرا له فى الدنيا والآخرة ، إضافة إلى مايجب عليه عمله تجاه الرسول الكريم من تمسك بسنته.

لقد ألف أحد الكتاب مؤلفا تناول فيه حياة الرسول الكريم وأعماله وجهاده فلم يملك هذا الشاعر المسيحى إلا أن أثنى على الكتاب ومن خلال ذلك كان ثناؤه علي الرسول الكريم الذى وصفه باليتيم الذى تنزل الوحى عليه نورا تجلى لخير الدنيا من عند الله تعالى يقول الشاعر[1] :

كتاب محمد فيه افتنان أفاض من الحديث على القديم
وحلى باليتيم سمو در تسلسل سيرة الفرد اليتيم
إذا ما الوحى عاد به جديدا ولم يك بالهجين ولا السقيم
فذلك أن أنوارا تجلت به من مهبط الله الحكيم

---

(١) ديوان الخليل جـ١ ، ص ١٧٩.

لآيات الحجى والقلب فيـــه روائع تستبى لب الحكيـــم
هو الشعر الطليق من القوافى وصفحه النثير على النظيـــم

وإذا كان الإسلام دين الدنيا والآخرة ، ولا خير فى المسلمين إن لم يكونوا متمسكين بما أمرهم به ربهم ليكونوا صورة مثلى للإنسان على الأرض فإن فعلوا ذلك فقد أرضوا ربهم وجلبوا الثناء لهم من سواهم وهذا شاعرنا يثنى على المسلمين الذين كانوا فيما مضى وقد حسن إسلامهم فنالوا الدرجات العلى بقول الشاعر[1].

فقية المسلمين بالعلم والتقوى لخير الفتوح خير الجنـود
سلكوا كل مسلك حسن فـى طاعة الله والتزام الحدود
فإذا استنفروا لدرء الأعادى عن حماهم فما هم بعـود

وهذا هو خلق المسلم علم وتقـوى ورجـولة وطاعـة لله تعـالى وشجاعة فى الحق وتلك خلال المسلمين التى سادوا بها الدنيا وقت أن كانت الشعوب الأخرى تهيم فى الجهالة الضلال.

* والأزهر قلعـة الإسـلام التى تحطمت عليـهـا أمـواج الكفـر والضلال والغزو الخارجى الذى أتى من وراء البحار وطلابه فى حاجة إلى من يمد لهم يد المساعدة على ولوج طريقهم فى تحصيل العلـــم

---

(١) ديوان الخليل جـ٤٢، ص ٢٧٣.

النافع بمـــا يصـيرون به حراسا للعقـيـدة وحمـاة لدين الإسلام ورجال الدين الموفـــورين ، والشـــاعـــر يثنى عليـــهم ويطالب بإعـــانة الطلاب الفقراء منهم حتى يشبوا ويأخذوا طريقهم فى حماية الدين فيقول[١]:

أهلا يرهط الفضل من نجب بهم التقى والعلم واللسن
بالناصحين ونصحهم بلـــج بالناهجين ونهجهم ســـنن
خير الدعاة إلى الوفاق على مايقتضيه الشرع والسنن
جادوا بسعى لايوازنـــــه بالقدر حمد جل مايـــزن
بجميل ماصنعوا وماردفـوا فاز ألوثام وخابت الإحـن
حكماء إن عرضت لأمتهـــم حاج فهم لأدقها فطـــن
الأزهر الأزهى له مـــــن عظمت وهدى دونها ألمـن

هذه صورة الأزهر فى عقل شاعر مسيحى ، لايعنيه الأزهر فى شئ ومن الممكن أن يكون واجدا عليه موغر الصدر منه ، يرى فيه صخرة صلبة تقف في وجه مايعتنقه ولكنه الإنصاف الذي يتحلى به الشاعر وهو الذى جعل شاعرنا يعرف لعلماء الأزهر قدرهم ويرى منزلتهم عظيمة لفضلهم وعلمهم ربما رأينا مسلمين يجحدون فضل الأزهر وعلمائه ودوره فى الحياة رغم كونهم مسلمين فشتان بين الموقفين...

ثم يكون حثه على تقديم المساعدة لطلاب الأزهر فيقول[٢]:

---

(١) سورة الزمل الآية ٢٠.

(٢) ديوان الخليل جـ٢ ، ص١٧٠.

طالب العلم أجدر بالحسنى إذا ما ابتغى الصلاح الأنام
من يعاونه بالحطام يحقق فى غد قدر ما أفاد الحطام

ودیننا يأمر بالبر والتقوى ولن يضيع أجر من أحسن عملا- وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله "(١) يقول الشاعر(٢):

من يقلده نعمة يوم عسر فعلى قومه له الإتمام
من يبدد عنه الغياهب يطلع كوكبا تهتدى الأحلام
للنبيين معشر كفلوهم والنبيون قصر أيتام

نعم كان رسول الله (ص) يتيما كفله جده وخلفه فى كفالته عمه ولذا يقول :

ماعلى العلم لا ولا طالبه من نصير غضاضة أو ذام

* ومن المعاني الإسلامية التى بدت ظاهرة للعيان فى شعر مطران مانظمه من شعر فى فجيعة مقتل المجاهد الكبير الشهيد عمر المختار حيث يقول(٣) :

أبيت والسيف يعلو الرأس تسليما
وجدت بالروح جود الحر إن ضيما

---

(١) سورة الزمل الآية ٢٠.
(٢) ديوان الخليل جـ٤ ، ص٨١.
(٣) ديوان الخليل جـ٤ ، ص٨١.

ففى البيت تصوير لمعانى الإباء والشمم والجود بأغلي مالدي الإنسان وهى الروح ، وتلك صورة مثلى في الفداء والتضحية ، حيث يقدم الإنسان على الاستشهاد فى سبيل هدف أسمى لينال رضا الله والجنة وذلك هو ما كان يفعله المسلمون الأوائل ويمثله سادوا والشهيد يعيد الماضى المجيد فى تضحيته بنفسه من أجل وطنه يقول الشاعر [١]:

تذكر العرب والأحداث منسيـــة
ما كان إذ ملكوا الدنيا لهم خيما

فإذا نسى الناس التاريخ فإن فى مثل تلك الفجيعة مايذكرهم بالمجد الغابر ويبين لهم كيف كان العرب يحصلونه ..

ولما كان المسلم مؤمنا بالقضاء والقدر ومعتقدا أن مايصيب الإنسان مقضى ومقدر وأن الآجال بيد الله تعالى وهى معلومة ومحدودة من الله تعالى لذا فإنه لاينكص على عقيبة عند الشدائد ولايعرف الجبن طريقه إليه يقول الشاعر : [٢]

لله ياعمر المختار حكمتـــه فى أن تلاقى مالاقيت مظلوما
إن يقتلوك فما إن عجلوا أجلا قد كان مذ كنت مقدور ومحتوما
هل يملك الحى لو دانت له أمم لأمر ربك تأخيرا وتقديمـــا

---

(١) سورة الأعراف الآية ٣٤.

(٢) ديوان الخليل جـ٤ ، ص٨١.

وصدق الله تعالى فى محكم كتابه إذ يقول " فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون" (١).

وهكذا يتجلى فى شعر الشاعر إيمانه بالقضاء والقدر وأن الإنسان مهما علت منزلته واتسع جاهه وامتد سلطانه فلن يستطيع تأخير ساعة منيته إن هى حلت ...

* اللغة العربية : هى لغة العرب وبها نزل القرآن الكريم وهى عامل أساسى في وحدة الأمة العربية والإسلامية فواجبنا الحفاظ عليها لأنها معجزة الإسلام ولغة القرآن ، فحق علينا الحفاظ عليها حتى لايستعجم علينا فهم القرآن الكريم ، لذا كان الحاقدون دائما يتوجهون إلى الفصحى محاولين إماتتها وإحلال العامية محلها...

وهنا يأتى دور المخلصين والمحبين للعربية الذين ينبرون للدفاع عنها ورد كيد الكائدين فى نحورهم وتبقى الفصحى لغة القرآن قوية على مدى الأزمان رغم ماقد يعتريها من ضعف لعدم العناية بها ممن هم أهلها الذين يهملون شأنها ويتركون الفرصة للعامية يزداد انتشارها.

والشاعر هنا يبين منزلة العربية وأهميتها وواجب العرب نحوها حتى تعيش قوية تؤدى دورها فى الحياة وتجمع الأمة على كلمة سواء يقول الشاعر : (٢)

---

(١) سورة الأعراف الآية ٣٤.

(٢) ديوان الخليل جـ٤ ، ص ١٠١.

إن للفصحى قشورا هيـــأت أمم العرب له كل سبـــــب
مايريدون من الشعـــــر إذا لم يكن صور الفشور المرتقب
ذلك البعث هو الفتح الـذى ليس يعدوه لذى لـــب أرب
وهو الجامعة الكبرى لمن فاه فى الشرق بضاد أو كتـب
فلئن لم تؤت ماحق لهـــا قبل الجيل لقد تب وتـــب

وفى موضع آخر يدافع عن اللغة الفصحى ويشيد بها ويتساءل عن يحاولون إلصاق المعايب بها فيقول:(١)

أصول الصناد طيبـــة الأروم تفرع كل تفريع مـــردم
ترى فى روضها ماتشتهـــيه مناك من البواسق والنجوم
وتلقى من طريف الوشى فيها أفانين الأزاهر والوشـــوم
فدع مايدعيه كل خصـــم خفى الكيد أو قدم غشوم

وإن من يحاول إلصاق المعايب بها فهو واهم لأن المعايب سوف تعود إليه هو لما قصر فى حق لغته يقول الشاعر:(٢).

وسل عما جنى منها الجبـــل فجيل كل مطلع عليـــــم
أما فى عصرنا هذا فخـــول أعادوا روعة العصر العظيم
وآتوها مفاخر أثلوها تزيـــد مفاخر الإرث الكريـــــم

---

(١)، (٢) ديوان الخليل ، جـ٤ ، ص١٧٧.

فإن ينعوا على الفصحى قصورا فقد يقع الملام من المليـــم
أمنها العجز أم منا ومـــاذا على المخدوم من عجز الخديم

وهذا مايراه شاعرنا بالنسبة للفصحى فلا عجز بها ولا ضعف في ذاتها أما العجز إن وجد - فهو بالقائمين على أمرها والمقصرين فى حقها.

ومن الأمـور التى وردت فى شعـره وتحدث عنهـا وهى من سـمـات الإسـلام الصـبـر عند المصـيـبـة . وتجلى ذلك فى حـديثـه فى مناسبة وفاة إحدى الشخصيات الهامة فى عصره فيقول معزيا: (١).

عظم الله أجركم إن وعد الله حق للصابرين الكـرام
يابنيه بسنة الله لـــو ذوا فيها برء كل جرح دام

وكـأنه أراد قـول الله تعـالى - وبشـر الصـابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون" (٢).

وفى شعره حديث عن رموز إسلامية ...

---

(١) ديوان الخليل جـ٤ ، ص٢٧٧.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٥.

فمن ذلك قوله حين مدح الملك عبد العزيز آل سعود :[١]

نعم الأمين لبيت الله يوسعـــه برا ويرعاه فى تقوى وإيمـــان
أقر حاضره عدلا وباديـــــه ما أنفع العدل مقرونا بإحسان

ففى البيتين حديث من الشاعر عن الأمانة وهى ثقيلة تأباها النفس، وذكر لبيت الله الحرام، والتقوى والإيمان والعدل والإحسان...

وكل ماسبق الحديث عنه فى شعر الشاعر أسس وحقائق من الدين الإسلامى .. تناولها السشاعر فى شعره وعبر عنها فأحسن التعبير ولم يكن ذلك التصوير والتعبير الذى صدر عن الشاعر فى صورة قوية متسقة إلا إنصافا وإحقاقا للحق وعدلا وإحسانا قل أف نجده لدي سواه .

وفى كل مامر من معان إسلامية برزت فى شعر شاعرنا خليل مطران ومن خلال ذلك يلمس القارئ أنه نظم هذه المعانى فى شعره من منطلق عقلانيته وإنصافه لدين قويم لاعوج فيه ولا التواء بل هو الطريق السوى المستقيم قال الله تعالى .. وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون[٢].

---

(١) ديوان الخليل جـ٤ ، ص٣٦٣.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥٣.

الدراسة الفنية

بعد أن طوفنا فى شعر مطران الإسلامى - هذا الشاعر غير المسلم والذى تناول به أمورا من صلب الدين الإسلامى وحقائقه ومبادئه وقيمه العليا فى شعر تناولناه بالتمحيص والدراسة.

حق علينا أن نبين ما اشتمل عليه شعره من معان وأفكار ، وكيف حلق بخياله فى شعره ورسم صوره الشعرية وهندس أبنيته التعبيرية التي حاول من خلالها إظهار تلك المعانى ...

ولما كان الأدب يشتمل فى مضمونة على عناصر أربعة هى :

الفكرة - العاطفة - الخيال - الصورة

كان لزاما علينا أن نبحث عن هذه المضامين بين طيات شعر هذا الشاعر وأولها :

١- الحقيقة أو الفكرة أو المعنى أو المضمون ، وهذا العنصر أساسى فى كل عمل أدبى ، إذ لابد من حقيقة ننفعل بها ، وموضوع متأثر به، وفكرة تستولي على مشاعرنا وإلا فبماذا ننفعل إذا لم يكن ثمة مايثير عواطفنا ويوقظ مشاعرنا ويهز نفوسنا[١].

---

(١) دراسات فى النقد الأدبى د.حسن جاد حسن ص٥.

فماذا بالنسبة للشاعر خليل مطران من حقائق الإسلام ومبادئه وقيمه ، والتى جعلته ينفعل بها ويعبر عنها فى شعره ، ويجسدها للعيان كأعظم مايكون الشعر ...

إن الاسلام دين قويم لا عوج فيه ولا التواء فهو كما قال الله تعالى فى شأنه "دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وماكان من المشركين"(١).

ومن حقائقه توحيد الله تعالى وعبادته وعدم الإشراك به تعالى يقول رب العزة جل وعلا "واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا"(٢).

ويلى ذلك شخص الرسول الكريم (ص) وكونه بشرا سويا ومبلغا عن رب العزة ومبشرا ونذيرا ، لايرقى إلى مرتبة الألوهية لأنه بشر ولا تعدد للآلهة فأمرنا التوحيد ، ولاينحط إلى أدنى مراتب البشرية ، بل "هو خيار من خيار" ، كما أخبر صلى الله عليه وسلم عن نفسه.

وهناك الرسالة الآلهية التى كلف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودورها فى إنقاذ البشرية ورقيها ، ثم إيذاء المشركين المعاندين له.

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٦١.

(٢) سرة النساء الآية ٣٩.

ولدعوته الحقة ، ثم الهجرة ودورها فى فتح آفاق الدعوة الإسلامية وإنطلاق الإسلام إلى شتي الأرجاء ترفرف رايته وتعلو مكانته وتتسع رقعة دولته ، من أقصى الدنيا إلى أقصاها بفضل جهاد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وجهاد أصحابه الأبرار من بعده ، كل هذه وأكثر منها حقائق انفعل بها الشاعر وتأثر ...

ثم هناك قدوة حسنة متمثلة فى شخص الرسول (ص) وجهاده من أجل دين الله تعالى وتحمله المشاق وتغلبه على الصعاب ، كل ذلك كان مناط القدوة بالنسبة للشعب العربى الذى يقاسى الأهوال ، ويعيش حياة قاسية.

وبالتالى فهو فى حاجة إلي أخذ العظة والعبرة والقدوة الحسنة من رسول الله (ص) وأصحابه فهو كما قال الله تعالى "لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة.."[1] فحق على كل مسلم أن يقتدى برسول الله (ص) فى حياته وجهاده وهذا هو مايعنيه الشاعر فى أبياته .. وها هو يصور فى شعره ماكان عليه الحال فى مكة من جاهلية وشرك متأصلين فى وجدان البشر يطبقان على مسيرة حياتهم ومعاملاتهم يقول الشاعر:[2]

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢١.

(٢) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤٢.

بدا وللشرك أشياع توطـــده فى كل مسرح باد كل توطيد
والجاهليون لايرضون خالقهـم إلا كعبد لهم فى شكل معبود
مؤلهون عليهم من صناعتهم بعض المعادن أو بعض الجلاميد

ألم يكن هذا هو حال مكة وأهلها من المشركين فى بعدهم عن التوحيد وعبادتهم للأصنام وفسادهم وسوء اختيارهم.

لقد كان الشرك حقيقة واقعة تناولها الشاعر وعبر عنها فأجاد وأحسن التعبير ، ولقد عانى الرسول (ص) فى سبيل تغيير تلك العقائد الفاسدة لإحلال الدين الإسلامى محلها قويا خلاقا يحترم كرامة الإنسان بجعله لايسجد إلا لله تعالى ولايوحد سواه .. خالقه ورازقه والمتفضل عليه.

وعلى هذا نجد الشاعر يبرز فى شعره أهم الحقائق والأعمال التى قام بها الرسول (ص) بقوة واقتدار أولاها جعل المجتمع الجاهلى يؤمن بعقيدة التوحيد لله تعالى ، والقضاء علي تشرذم الجاهليين وجعلهم أمة واحدة ربها الله تعالى ودينها الإسلام وقبلتها واحدة وهدفها واحد ، كما أن قواها التى كانت مبعثرة قد بعثته من جديد قوة واحدة قوية فاعلة ومؤثرة فيما حولها من البقاع المجاورة لها كما ظهر من خلال التاريخ.

يقول الشاعر[1]:

صعبان راضهما توحيد معشرهم وأخذهم بعد إشراك بتوحيد

---

(١) ديوان الخليل جـ٤ ، ص٤٠.

لقد أحس الشاعر بما لاقاه الرسول (ص) فى محاولته تغيير مجتمع الشرك والوثنية والعصبية الجاهلية إلي مجتمع التوحيد والأخوة الإسلامية فعبر عن تلك الحقائق فأحسن التعبير فى أسلوب يعبر عن الصبر والأريحية وقوة التحمل والعزيمة لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن الحقائق العظيمة والأعمال السامية التى قام بها الرسول الكريم وجسدها الشاعر فى شعره أيضا معاهداته مع أهل الكتاب مساكنيه فى المدينة المنورة "المجتمع الجديد" . وقبل ذلك كان إخاؤه بين المهاجرين والأنصار.

وكل هذه الأعمال العظيمة كان الهدف منها إيجاد التلاحم والإخاء الإنسانى داخل المجتمع الواحد ليقوى المجتمع الوليد ويصبح جبهة واحدة قوية يكون مستندا عليها فى مجابهة الأعداء خارج هذا المجتمع الوليد...

ويجسد الشاعر هذه الحقيقة فيقول :

وزاد فى الأرض تمهيدا لدعوته بمهده للمسلمين والهـــــرد
وبدئه الحكم بالشورى يقيم به ماشاء الله عن عدل وعن جود

فالحكم بالشورى كان من الحقائق الهامة فى الدولة الاسلامية الوليدة تنفيذا لأمر الله تعالى من الأخذ بالشورى فى كل الأمور قال الله تعالى : وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله"[1]

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

وكل هذه حقائق تأثر بها وعبر عنها فقال: (١)

هذا هو الحق والإجماع أيــده فمن يفتده أولى بتفنيــد

ومن الحقائق التى عبر عنها وربط فيها الحاضر بالماضى هو حثه المصريين على إعادة المجد القديم للعرب حتى يكونوا كأسلافهم (٢).

أبناء مصر عليكم واجب جلــل لبعث مجد قديم العهد مفقود
فليرجع الشرق مرفوع المقام بكم ولتزه مصر بكم مرفوعة الجيد

وهذا هو الهدف الأسمى من سرد تلك الحقائق واستعراض ذلك التاريخ فى شعر الشاعر، ألا وهو إحياء المجد السالف ولن يكون ذلك إلا بالعمل المجاد المثمر الذى تفيد منه البشرية .

وفى تأثره وإيمانه بالقضاء والقدر نجده يقول فى رثاء الشهيد عمر المختار (٣) .

إن يقتلوك فما إن عجلوا أجــلا
قد كان مذ كنت مقدورا ومحتوما
هل يملك الحى لو دانت له الأمم
لأمر ربك تأخيرا وتقديمــــا

---

(١)، (٢) ديوان الخليل جـ٤ ، ص٤٠.
(٣) ديوان الخليل ، جـ٤ ، ص٧.

وهذا يتطابق مع قول الله تعالى: "إن أجل الله إذا جاء لايؤخر لو كنتم تعلمون"(١).

وينطبق هذا الحكم الحق علي العالمين أجمعين لافرق في ذلك بين من كان بلا حول ولاطول ، وبين من دانت له الدنيا لايستطيع أن يؤخر أجل الله وقضاءه...

وإذا كان الأمر كذلك فلا قيمة للحرص على الحياة إلا بمقدار الحفاظ عليها من التهلكة فقط ، أما ماعدا ذلك فأمره متروك إلى الله تعالى وحين يحتاج الأمر إلي التضحية والفداء فإنه يكون من الواجب العمل بمقتضى قول الخليفة الأول " احرص علي الموت توهب لك الحياة .. هو الأساس والواجب على كل مسلم وبهذا تكون العظة والعبرة".

وإذا كان الإسلام دين الحق القويم فإنه لايعدم الكارهين والشانئين الكارهين لدعوته ولكنه لايعدم المدافعين عنه من معتنقيه أو سواهم من غير المسلمين وها هو شاعرنا يعبر عما كان يقوم به الزعيم مصطفى كامل فى حياته بالنسبة للإسلام فقد كان ناذرا علي نفسه للدفاع عن الإسلام ورد كيد الكائدين وكشف زيف المزيفين.

وها هو يقول فى رثائه(٢):

من يبرئ الإسلام من تهم العدا ... ويرد نقد الناقدين مزيفا

---

(١) سورة الآية نوح الآية ٤ .

(٢) ديوان الخليل جـ١ ، ص٣٨.

فمن الحقائق التى احتواها هذا البيت :

براءة الإسلام من تهم العدا ، ثم رد فقد الناقدين الزائف

للإسلام تلك أمور يرى الشاعر أنها فى حاجة إلى من يقوم بها بعد فقد الزعيم والشاعر يتساءل عمن يقوم بهذا الدور بعد فقد الزعيم.

ثانيا : العاطفة أو الانفعال أو التجربة الشعرية أو المعاناة النفسية ومعناها انفعال الأديب بحقيقة من الحقائق أو مشهد من المشاهد أو فكرة من الأفكار أو موضوع من الموضوعات ، فهى الحالة التى تتشبع فيها نفسه بشئ من هذه الأشياء وتتأثر به تأثرا قويا يدفعه إلى الإعراب عنه(١).

" وان أول مايتميز به الأدب القوى الصادق أنه تعبير عن العاطفة أو العواطف التى تجيش بنفس الأديب .."(٢)

وإذا كان الشعر الدينى خاصة صدى لعاطفة الشاعر نحو دينه كما هو الحال بالنسبة لشاعر كشوقى مثلا له شعر دينى قوى غرير ومؤثر ، من يقرأه يجده صدى لعاطفته الدينية، لأن شوقى كما يستبين من خلال حياته " قد كان رجلا متدينا ، مؤمنا بالله تعالى محبا لرسوله تشربت نفسه عزة الإسلام ، كما كان فخوراً بمجـــــد

---

(١) دراسات فى النقد الأدبى د.حسن جاد حسن ص٦.

(٢) الإسلام فى شعر وشوقى ضيف ص ١١٢.

المسلمين أسيفا على فقدانهم ما كان لهم من عزة وسلطان تواق إلى استرجاع ماضيهم العظيم ، ولم يكن فى بيئته أو وظيفته أو حياته مايضطره إلى أن ينهج هذا النهج"(١).

كان هذا حال شوقى فى شعره الدينى الإسلامى وهو مسلم منتدين كما نعلم فما بال شاعرنا خليل مطران فى شعره الإسلامى..!!

لقد تناول فى شعره معانى إسلامية سامية عالجها فى أسلوب شعرى قوى متسق يشعر من يقرؤه بقوة العاطفة وجيشان الشعور ، كما يجد أن هذا الشعر كان صدرى لما فى نفسه من عاطفة دينية إسلامية يلمس ذلك من خلال انفعال القارئ أو السامع بذلك الشعر، وذلك أمارة الصدق العاطفى وانفعال الشاعر مع تلك الأحداث.

فالشاعر .. من يشعر ويشعر . ومن يشعر يجوهر الأشياء" (٢) وشاعرنا خليل مطران . فى شعره الإسلامى- ورغم مسيحيته -موفور والأحاسيس والمشاعر بتلك المعانى والأفكار والحقائق التى تعبر عن الدين الاسلامى ، وشعره صدى لأحاسيسه ومشاعره ، كما أن شعره يجعل قارئه أو سامعه يفيض هو الآخر عاطفة وجيشان نفس ،

---

(١) السابق والصفحة.

(٢) الديوان فى الأدب والنقد ، ص ١٣٤.

وشفافية روح ، وما زاك إلا لأنه يجسد المعانى فى قوة ، ويصورها فى اتساق وصدق لا مبالغة فيه ولا ادعاء لما ليس له أصل فى الحقيقة، بل إن شعره لم يوجد فيه إلا كل حق كان له وجود .. وفي كل معنى تناوله فى شعره على مدى الأيام ...

فإذا تحدث عن السبب فى تجديد ذكرى الهجرة فإنه يقول[1]

لله فى الخلق آيات وأعجبها تجديد روعتها فى كل تجديد

ويستبين من خلال البيت أن الهدف من تجديد ذكرى الهجرة هو بعث الأمل فى النفوس والبهجة فى القلوب لتحيى مع ذكريات الأيام العطرة التى كانت تمتلئ بهجة وروعة وعزة وجمالا...

وفى حديثه عن الهجرة ومالاقاه الرسول الكريم (ص) هود وأصحابه من أذى وصد عن سبيل الله ، ومالقى من الحزن والألم لفراق موطنه مكة والتحول عنه إلى المدينة ، إلا أنه مأمور من قبل الله تعالى لحكمة سامية وآفاق رحبة لخير الدعوة من أجل نشر الإسلام فى شتى الربوع فيقول: [2]

ينوى الترحل عن أهل وعن وطن
وفى جوانحه أحزان مكبود

---

(١) ، (٢) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤٢.

يكاد يمكث لولا أن تداركـــه
أمر الآله لأمر منه موعـــود
معنى هو البدء والصديق يصحبه
يغامر الحزن فى تيهاء جينحود

ثم ما أجمل تعبيره عن الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (١)

لقد علمتم وما مثلى ينبئكـم لكن صوتى فيكم صوت ترديد
ما أثمرت هجرة الهادى لأمته من صالحات أعدتها لتخليـد
وسودتها على الدنيا بأجمعها طوال ماخلقت فيها بتسويـد

فـفى قـوله هذا الحق والصدق والـواقـعـيـة ، وضع كل شئ ، فى موضعه، دون مغالاة فى زيادة أو نقصان من قدره ، إضافة إلي أنه لاينسى واقع نفسه. وهو كونه مسلم غير مسلم .. !!

لذا فإنه يري أن حديثه عن أمر الهجرة فى رأيه - أنه ترديد لما بقوله له أهل الإسلام ، وهو يرى أن الهجرة النبوية أثمرت خيرا كثيرا لأمـة محـمـد (ص) ، وكـان للهـجـرة أثرها الكبـيـر فى تخليد الأمـة وتبـوئهـا مـوقـع العـزة والسـيـادة على سـواها من الأمم في الدنيـا بأجمعها ، كما كان لها الأثر الكبير فى رفع راياتها واتساع رقعتها ، ولم يكن ذلك من فـراغ ، بل كـانت الأمـة الإسـلامـيـة جـديرة بذلك التسويد والسمو لقاء ماجهدوا وما تحملوا من مشقة وعناء طواعية ومحبة لله تعالى ..

---

(١) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤٢.

وحين يتحدث الشاعر عن عزم الرسول (ص) وجهاده وحلمه وثقته بربه وأنه تعالى ناصره ومظهر على مدى الأيام أمره ، تلكم الصفات العظيمة والشيم الكريمة هى التى قابل بها جهل الجاهلين ، وأذل الجبابر من المشركين ووحد الأمة ، وواجه القوة الغاشمة والجبروت الشيطاني الذى كان بين جوانحهم ليكون كل ذلك خيرا يعود على البشرية جمعاء ، بعد أن كان شرا يتبادلون اصطلاءه فيما بينهم فيقول(١):

بأى حلم مبيد الجهل عن ثقة وأى عزم مذل القادة الصيد
أعاد ذاك الفتى الأمى أمته شملا جميعا من الغز الأماجيد
لتلك تالية الفرقان فى عجب بل آية الحق إذ يبقى بتأكيد

وعند قياس هذا الشعر بمعايير الصدق نجد أنه قول لايجاوز الحقيقة ولانجالجه ادعاء ، بل إنه عبر عن الواقع بما أجابته نفسه المنطوية علي الصدق والوفاء لدين الاسلام...

وشاعرنا فى تأثره بما لدى الإسلام من قيم ومبادئ ومثل عبر عنها فأحسن التعبير، فقد تأثر بهما كأحداث ومواقف وجاشت بها نفسه ولعب بها خياله وطاف بها جوانب عقله ، وحين أراد التعبير بما أحس كان تلوينه وتوشيته ورسمه لتلك الأمور التى تناولها فى شعره فى صور قوية متسقة قد تزيت بأثواب قشيبة ذات ألوان بديعة تلعب

---

(١) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤٢.

بالعواطف وتأخذ بالمشاعر وتستهوى النفوس وتلفتها إلى مواطن القوة والقدوة الحسنة فى جهاد الرسول (ص) وأصحابه كى ينهض الخلف من كبوته ويعمل بجد ونشاط ليتبوأ ما كان يتبوأه السلف من السمو والسموق ...

٣- الخيال : هو الذى يمكن الشاعر من الدوران حول الموضوع ورسم صورة له فى عقله ومخيلته يجسمها ويوشيها في وجدانه وفق ما أراد الله تعالى له، إنه يعيش مع الموضوع فى الخيال و حين يتسنى له أن يبرز هذا الخيال الوجداني إلى المتلقى فإن ذلك يكون فى صور شيقة فذة تقترب من الواقع أو تبتعد عنه قد وشاها بألوان البيان والبديع ، وكل ذلك يجعل المتلقى يعيش نفس الخيال والجو الذى سبق أن عاشه الشاعر وكان صورة لما سبق من مجد الأمة وازدهارها وتألق ضوء نهضتها فى تلك الأيام.

انظر إليه وهو يرسم ويخيل ذلك فيقول(١):

قد كان للإسلام عهد باهر تلنا به هذا الرقى مسلفا
ملأ البلاد إنارة وحضارة ومني السماحة عوده مستأنفا
فالخير كل الخير فيه مقيلا والشركل الشر أن يتخلفا

---

(١) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤٢.

وفى الأبيات يسرح الشاعر بخياله محلقا راسما للإسلام خيالا رائقا فى معانيه وأحكامه وقيمه ومبادئه ، أسسه ودعائمه ، وغزواته وكفاحه من أجل نشر نوره ، ثم ينقل للمتلقى هذا الخيال الرائق فى صور باهرة ليجعله وكأنه يعايش تلك الفترة المشرقة من حياة الإسلام.

إن الشاعر يربط الحاضر بالماضى ويلفت الأنظار إلى أن الكفاح والمشاق طريق السعادة وبلوغ المأمول ، وذاك مايتخيله الشاعر وكأنه يقول هذا سبيل المجاهدين المجتهدين الذين يضمنون عيشهم الرغد بكفاحهم واقتحامهم الصعاب ، أما الكسالى والقاعدين ففهيهات أن يتسع لهم شق من الأرض يحيون فى ضنكه وضيقه بقول : [1]

عافى محمد ماعانى بهجرتـــــه
لمأرب فى سبيل الله محمـــود
وكم غزاة وكم حرب تجشمهـــــا
حتى يعود بتمكين وتأييـــــد
كذا الحياة جهاد والجهاد علـــى
قدر الحياة ومن نادى بها فودى
أد فى الكفاح كفاح المرء عن سفه
للاحتفاظ بعمر رهن تخليـــــد

---

(١) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤٢.

ليغنم العيش طلقا كل مقتحم

وليبغ فى الأرض شقا كل رعديد

ومن عدا الأجل المحتوم مطلبه

عدا الغناء بذكر غير ملحـــود

فلا حياة إلا للمجتهدين ورسول الله خير من جد واجتهد من أجل غد أفضل لأمته ودعوته وهكذا الحياة فمن أراد سعة العيش فعليه بالجهاد وإلا فضنك الحياة متسعه وسيبقى الذكر الحسن لكل مسد جميلا ...

٤- التعبير : أو الأسلوب أو نظم الكلام ، وهو الأدلة التى بواسطتها ينقل الأديب إحساسه المضمر فى نفسه للناس ، وقد وشاها بصور الخيال وظلاله فيؤثر فى نفوسهم، ويدفعهم إلي مشاركته الوجدانية فيما انفعل به، وفعنى بهذه الأداة اختيار الألفاظ وحسن تأليفها ومطابقتها للمعنى والشعور بإيحائها وإيقاعها وجرسها والأديب العظيم يختار ألفاظه ويهيئ لها الجو الغنى الذى تشع به الصور والظلال والايحاء بالمعنى "[1].

---

(١) دراسات فى النقد الأدبى وحسن جاد حسن ص٦٠.

إن الصورة الشعرية تنقل إلى القارئ عاطفة الشاعر وتجربته وتنقل كذلك فكرته التى انتقل بها.. (١)

وحين نطالع شعر خليل مطران الإسلامى نجده يستخدم الصور الجزئية المتمثلة فى التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز ، كما نجده يستخدم الصور الكاملة المؤلفة من صور جزئية مترابطة ترسم مشهدا عاما...

فمن الأولى وهى الصور الجزئية على سبيل المثال قوله في حديثه عن هلال الهجرة يقول(١):

كأن حسنك هذا وهو رائعنا حسن لبكر من الأقمار مولود

ففى البيت تشبيه عن الهجرة بما تحمله ذكراه من خير ونور وضياء بمطلع القمر الذى يضيئ الدنيا بنوره ، ويهدى السالكين فى دروب الحياة الموحشة.

ومن الصور الجزئية أيضا قوله(٢):

كأنهم فى الدجى والنجم شاهدهم فرسان رؤيا لشأن غير معهود

وقوله أيضا: (٣)

كأنهم وضياء الصبح كاشفهم آمال خير سرت فى مهجة البيد

---

(١)، (٢) ، (٣) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤٢.

وفى تصويره لجهل المشركين وعبادتهم أصناما لاتضر ولاتنفع.

والجاهليون لايرضون خالقهم إلا كعبد لهم فى شكل معبود

وحين ينتقل الشاعر إلى تصوير حالتهم الاجتماعية ومعاملاتهم مع بعضهم البعض فيقول(١):

مستكبرون أباه الضيم غر حجى ثقال بطش لدان كالأماليد

ومن الصور الكاملة التى أدى بها الشاعر مشاق الطريق فى رسم بديع فيقول(٢):

دعى المرالين إزماعا لهجرتـــه

فلم يجبه سوى الرهط الصناديد

مضى هو البدء والصديق بصحبه

يغامر الحزن فى تيهاء صيخـود

موليا وجهه شطر المدينة فـــى

ليل أغر على الأدهار مشهـود

حتى إذا اتخذ الغار الأمين حمى

ونام بين صفاه نوم مجهـــود

حماه وشى بباب الغار منسـول

من الأولى شيردوه شر تشريـد

---

(١)، (٢) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤٢.

يا للعقيدة والصديق فى سهـر
تؤذيه أفعى ويبكى غير منجـود
إن العقيدة إن صحت وزلزلهـا
مفنى القرى فهو حصن غير مهدود

وهى تصور حدث الهجرة فى حركة وتدفق وتجسيد ومالاقاه الرسول الكريم فى هجرته وجند الله التى تعهدت برعايته ، ومافعلته الأفعى بالصديق ثم يكون تجسيده لدور العقيدة فى حياة الإنسان ودورها فى إيجاد السمو والرقى الإنسانى .

-٥

اللغة :

الألفاظ والتراكيب فى شعر خليل مطران :

إذا تأملنا شعر خليل مطران لنتبين مدى توفيقه فى اختيار الألفاظ المناسبة لمعانيها ، وكذا التراكيب اللغوية لنتبين مدى اتساقها وترابطها فإننا نجد الشاعر قد أجاد فى اختياره الألفاظ لأبنيته الشعرية والأمر الذى لاشك فيه أن خليل مطران شاعر رائد ، علي علم ودراية باللغة الفصحى ، قد حفظ الكثير من ألفاظها وتعبيراتها لكثرة ما قرأ أو حفظ من أساليب اللغة الفصحى التى راقته فوعاها وعبر عن معانيه من خلالها وامتلأت ذاكرته بمفرداتها وحين رأى المهاجمين لها امتشق حسام نظمه ليدافع من خلاله عنها فى شعر يظهر دورها ويبرز محاسنها .

وحين نتصفح شعره نجده يحسن انتقاء الألفاظ واختيارها لتكون ملائمة للعاطفة موائمة للفكرة ، ومن هنا كثرت فى شعره الدينى ألفاظ مستقاه من الدين أو متصلة به تؤدي الغرض وتجسد المعاني التى تدل عليه وتدعو إليه ومن هذه الكلمات :

الإله - الملائكة - الإسلام - رسالة الله - الأمين - الصديق - الغار - العقيدة - حيطة الله - محمد - سبيل الله الهادى - الشرك - الفتى الأمى - الفرقا - التوحيد - الحكم بالشورى - العهد - إشراك.

ومن هنا نجد أن شاعرنا خليل مطران قد تخير الألفاظ المناسبة من قاموسه اللغوى للمعانى المناسبة فى أبنيته الشعرية ، فجاءت الألفاظ على قدر المعاني ، متسقة أيما اتساق ، كلها عربية فصيحة لا غرابة فى الكثير منها ، ظاهرة المعنى ، لايشوبها غموض وليست فى حاجة إلى البحث عن معانيها فى القواميس اللغوية ، إلا فى القليل مما ندر من الكلمات مما هى بحاجة إلى التنقيب عنها لمعرفة معناها فى قواميس اللغة - كما يمكن القول إنه توجد في شعره بعض الكلمات ذوات المعاني العامية فمن الأول قوله فى بعض الكلمات:

مناجيد - تبعيد - تنكير - حلمود - مكبود - صيخود - القود - ملحود - المستسر - إزماعا - تيهاء - منجود - الأماليد.

ومن الثانى يمثله وجود مثل هذه الألفاظ : تعبير - مهدود - المطاريد - مردود ...

٦-

المحسنات البديعية فى شعر خليل مطران .

فى شعر خليل مطران الإسلامى استخدام منه لبعض المحسنات لتكون توشية لصوره الشعرية ، ولتساعد على جلاء الضور وإيضاح المعانى التى يجسدها ويعبر عنها ، وكل ذلك حسن فى الشعر مالم يتجاوز المقدار الذى يصير به تكلفا يخل بالصورة.

وفى شعره الجناس والطباق .

فمن الجناس قول الشاعر (١):

هل الهلال فحيوا طالع العهد حيوا البشير بتحقيق المواعيد

كأن حسنك هذا وهو رائعنا حسن ليكر من الأقمار مولود

لله فى الخلق آيات وأعجبها تجديد روعتها فى كل تجديد

وفى قوله أيضا (٢):

عانى محمد ماعانى بهجرته ...

وقوله أيضا (٣):

كذا الحياة جهاد والجهاد على ... قدر الحياة

أدفى الكفاح كفاح المرء عن سفة .....

---

(١)، (٢)، (٣) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤٢.

إلي غـيـر ذلك من صـور الجناس التى لاتخـفى ، وهى فى معظمها غير متكلفة وكل لفظة فى الأبيات بما فيها الجناس تؤدى دورها فى إظهار المعنى دون أن يكون هناك تكلف أو ثقل فى اللفظ وتكرار أو ضآلة فى المعني .

فإذا بحثنا عن الطباق فى شعره وجدناه يكثر فى العديد من أبيات شعره ولكنه لايخل بالمعنى ولايؤدى إلى الجلبة اللفظية دون طائل فشاعرنا خبير باستعمالات اللغة ومثال ذلك قوله [١]:

وجزيت من فانى الوجود يخالد

ومن الأسى الماضى تقبل الصفا

وقوله أيضا: [٢]

فزع الشباب إلى الشيوخ بثأرهم

من دمعهم إن خانهم فتكفكفا

وقوله[٣]:

من يبرئ الإسلام من تهم العدا .....

وقوله[٤]:

فالخير كل الخير فيه مقبلا والشر كل الشر أن يتخلفا

وقوله [٥]:

والجاهليون لايرضون خالقهم إلا كعبد لهم فى شكل معبود

---

(١)، (٢)، (٣) ، (٤) ، (٥) ديوان الخليل جـ٢ ، ص٤٢.

وقوله :

بأبى حلم مبيد الجهل عن ثقة وأى عزم مذل القادة الصيد

إلى غير ذلك من ألوان البديع التى وشى الشاعر شعره بها فجاءت مساوقة للبناء الشعرى ، لم يخرج بها إلى التكلف فى الأخذ والاجتلاب والإبعاد فى المعنى والتقيد لكل ماهو عسير المطلب فى البناء الشعرى فجاء أسلوبه بعيدا عن التكلف وبذا يكون الشاعر خليل مطران قد عبر عن تأثره بالاسلام بالرغم من أنه لم يعتنقه وقد رأى الحق فى حياته متمثلا فى مبادئه السامية وقيمه النبيلة الفاضلة فعبر عنها فى شعره وجسدها فى تصويره ، ودافع فى شعره هذا عن الإسلام دفاعا قويا ، وكان الحر الذى لايدين به ولكنه إحقاقا للحق - ينبرى للدفاع عنه ويزود عنه خصومه المتعسفين ..

كما أن هذا الشعر شهادة حق من لم يكذب ولم ينافق بل كان شعره توشيه وإبرازا لمعانى الإسلام وتجلية لها بالحق ..

وتصويرا للخير يأتى به الإسلام ، ويكون فيه الرقى والسعادة لمن تمسك بالاسلام واعتصم بحبله ، وكان جديرا بتلك السيادة لقاء جهد جهيد وعمل مجيد وتمسك بالخير رشيد ...

والله تعالى أعلى وأجل وأعلم ،،

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- ديوان خليل مطران - نظمه ...
جـ ١، جـ٢ ، جـ٣ ، جـ٤.

٣- الشوقيات نظم أحمد شوقى .
جـ١ ، جـ٢ دار نهضة مصر للطباعة والنشر .

٤- الإسلام فى شعر شوقى .
د. أحمد الحوفى - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٢.

٥- دراسات فى النقد الأدبى . د.حسن جاد حسن ١٩٧٧م.

٦- الديوان فى الأدب والنقد- عباس محمود العقاد نسخة مصورة.

٧- العمدة - ابن رشيق القيروانى .

٨- مع الشعراء المعاصرين . د.محمد عبد المنعم خفاجى .

٩- خليل مطران شاعر الأقطار العربية - د.جمال الدين الرماوى .

١٠- خليل مطران شاعر الحرية . د.محمود بن الشريف .

١١- خليل مطران - د. محمد مندور .

١٢- خليل مطران - محمد عطا .

١٣- الشعراء الثلاث شوقى - مطران - حافظ . حسن السندوبى .

١٤- في الأدب الحديث - عمر الدسوقى .

١٥- غايات الأدب في مجتمعنا المعاصر بين النظرية والتطبيق جـ٢
الجانب .

١٦- التطبيقى فى الشعر خاصة د. محمود على السمان .

١٧- فى الأدب الحديث . عمر الدسوقى .

١٨- وحدة القصيدة فى الشعر العربي د. محمد عبد المنعم خفاجى

١٩- رائد الشعر الحديث . د.محمد عبد المنعم خفاجى .